مجلة شهرية

Issue No: 171 عدد:

November 2021 شهر تشرين ثانٍ

نـــــور المسيـــح

يسوع المسيح الغالب

Φ Ω Σ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

«أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي.» (يو 14: 6)

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة تذكار نقل رفات القدّيس العظيم في الشهداء جاورجيوس اللابس الظفر، إلى مدينة اللد .

16/11/2020

كَرز **القديس بولس الرسول** قائلًا: « فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتٍ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً، وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا.» (رومية ٨: ٣٨-٣٩). «لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ.» (فيلبي ١:٢١).

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح

أيها المسيحيون الأتقياء

إنَّ نعمة سرّ التقوى أي سرّ صلب وقيامة **مخلصنا المسيح** قد جمعتنا اليوم في هذا المكان المقدس وموضع العبادة العقليَّة، لكي نُعَيِّد لتذكار نقل **رفات القديس العظيم في الشهداء جاورجيوس** اللابس الظفر الذي مَاثَلَ **الرَّب** بآلامه.

إنَّ **صديق المسيح جاورجيوس** له مكانة خاصة بين جوق شهداء الكنيسة وذلك لأنه وبحسب **القديس اندراوس الكريتي**: أصبح «**جاورجيوس**» غُصنًا مثمرًا للكرمة الحقيقية التي زرعها **الآب السماوي**، والذي زرعنا به بالبهجة الرُّوحيَّة لشفاء الأهواء وتجديد النفس والجسد.

وما الكرمة الحقيقية؟ إنَّهُ **المسيح** الذي قال:« «أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكَرَّامُ» (يوحنا ١٥:١). ويفسِّر **القديس كيرللس الإسكندري** هذا الفصل الإنجيلي قائلًا: إذًا سيكون تفكيركم مستقيمًا تمامًا بأنَّ الآب يُغذينا في التقوى بالابن في الرُّوح، فهو يهتم بِنَا أي هو يسهر علينا ويعتني بنا، ويحسبنا أهلًا لمؤازرته ومعونته بالابن في الرُّوح «القُدس». فحتى لا يظن أي أحد أنَّ بالابن الوحيد يعتني بنا باعتباره يمثل الله الآب كَمَنْ يتعاون معه، فيدعو نفسه الكرمة التي تَمُدُّ أغصانها الخاصة بالحياة والقوَّة المثمرة. ويضيفُ قائلًا: لم يَقُل إنَّ طبيعة جسده أي جسد

المسيح هو الكرمة بل بالأحرى إلوهيَّتُهُ ...كما أن ثمر حياة القديسين ليس جسديًّا بل روحيًّا.

حقًّا إنَّ **الشهيد جاورجيوس** قد صار هو بذاته غصنًا **للمسيح** الذي نال منه الحياة والقوَّة المثمرة. فلقد سمع **جاورجيوس** منذ الطفولة أقوال **بولس الرسول** التي يقول فيها: « لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ.» (فيلبي١:٢١). لهذا فإنَّ **القديس ثيوذوروس الستوديتي** يقول مُسبِّحًا إياه: «لنمتدحن يا إخوة مدحًا روحيًّا جلادة حجر الماس العقلي. جاورجيوس الشهيد الذائع الصيت. الذي لمَّا اضطرم بمحبة المسيح تصلب متجلدًا بالخطوب. وتحدَّد مشحوذًا بالعذابات جسده. الذي إذ كان فانيًا بحسب الطبيعة أذابته العقوبات المتنوعة. فإن المحبة تغلبت على الطبيعة فأقنعت العاشق بأن يصل الموت إلى معشوقة المسيح الإله مخلص نفوسنا.»

وُلدَ **جاورجيوس** في بلدة كبادوكية من أبوين مسيحيين شريفين كانا من أصحاب الغِنى والشهرة الاجتماعية. وتجنَّد وارتقى وصار ضابطًا كبيرًا في الجيش الروماني في زمن **الإمبراطور الروماني ديكلتيانوس** الذي حكم في الفترة ما بين (٢٨٤-٣٠٥). وفي سنة **٣٠٣ صدر أمرٌ لا هوادة فيه** لِيُنَفَّذَ ضد المسيحيين ولمعاقبتهم بسبب انتمائهم **للمسيح الإله واتّباعم الديانة المسيحيَّة**، وذلك من قبل **ديكلتيانوس** وبالأخص من معاونه **غاليريوس** ، ومن الواضح ان كثيرًا من شهداء الكنيسة قد تعرضوا إبَّانَ حكمهِ لاضطهادٍ عنيف.

إنَّ **جوارجيوس** الدائم الذكر لم يكتف فقط بإعلان نفسه بجرأةٍ أنه مسيحيٌّ. بل فضح **الأصنام وبطلانها** مُوَبِّخًا **الإمبراطورر** وكل عبدة الأصنام ونهجهم المضِّل والمُضَلِّل المقرون **بالأدوات الشيطانية**.

وهذا ما صنعه شهيد محبة **المسيح** الذي كان سامعًا من جهةٍ لأقوال

الحكيم سليمان: « لِتَنْظُرْ عَيْنَاكَ إِلَى قُدَّامِكَ، وَأَجْفَانُكَ إِلَى أَمَامِكَ مُسْتَقِيمًا.» (أمثال ٤ : ٢٥). ومن الجهة الأخرى **لربنا يسوع المسيح** الذي يقول: «احذروا من الناس ... وَقَبْلَ هذَا كُلِّهِ يُلْقُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، وَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى مَجَامِعَ وَسُجُونٍ، وَتُسَاقُونَ أَمَامَ مُلُوكٍ وَوُلاَةٍ لأَجْلِ اسْمِي.فَيَؤُولُ ذلِكَ لَكُمْ شَهَادَةً.» (لوقا ٢١: ١٢-١٣).

إنَّ أقوال **الرَّب** التي ذُكرت سابقًا قد قيلت من أجل الخدمة الرسولية أي عند نشر الإنجيل من **الرسل القديسين** وأيضًا من أجل المسيحيين الذين سيشهدون للحقِّ بدمائهم، وبحسب المُفَسِّر زيغافينوس في «الشهادة للحق» إذ هي توبيخٌ لكي لا يتحجَّج أحدٌ فيما بعد قائلًا: انه لم يسمع للكرازة لانَّ **الرَّب** يقول: « لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ جِئْتُ وَكَلَّمْتُهُمْ، لَمْ تَكُنْ لَهُمْ خَطِيَّةٌ، وَأَمَّا الآنَ فَلَيْسَ لَهُمْ عُذْرٌ فِي خَطِيَّتِهِمْ.» (يوحنا ١٥: ٢٢).

إنَّ **جاورجيوس المغبوط** أيها الإخوة الأحبة قد أُحْصِيَ مع مصافِّ شهداء الكنيسة العظام، وذلك لأنَّ **جاورجيوس اللابس الظفر** باستشهاده الدمويّ قد أكّد على **قيامة المسيح** من جهةٍ وختم على صحة الإيمان الحقيقي المسيحي من جهة أخرى. وبكلام آخر إنَّ **المغبوط جاورجيوس** قد ضحى بنفسه كارزًا بابن الإنسان (متى ٨: ٢٠) الذي بموته على الصليب قد فتح الطريق إلى ملكوت السماوات. وهذا هو السبب الذي جعل **القديس جاورجيوس** يساهم ويشهد شهادة ذاك الذي قال: « وَلِهذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ.» (يوحنا ١٨: ٣٧).

إنَّ شهادة **القديس جاورجيوس** الدمويَّة من أجل الحقيقة في **المسيح** قد جعلته مساهِمًا ومشترِكًا في آلام موت **المسيح** لهذا فقد نال العظيم في الشهداء إكليل البِرِّ (٢تيم ٤: ٨) من أجل الكمال في التقديس (عبرانيين ١: ١٤). وحدث هذا لأنَّنا بحسب **القديس بولس الرسول** «مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ» (رومية ٦: ٣-٥)، أي مع **المسيح**. **فالقديس جاورجيوس** يُسبِّحه مرنم الكنيسة قائلًا : «لقد سلكت سلوكًا ينطبق على معنى اسمك يا جاورجيوس الجندي العظيم. فأنك حملت صليب المسيح على منكبيك. وحرثتَ الأرض التي بارت بالضلالة الشيطانيَّة، واستأصلت عبادة الأوثان المُشَوِّكَة. وَغَرَستَ كرمة الايمان القويم. فأصبحت حرَّاثًا للثالوث القدوس بارًّا تبسط فروع الأشفية لكل من في المسكونة من المؤمنين. فنطلب اليك أن تتشفع في سلام العالم وخلاص نفوسنا.»

إنَّ **القديسين** وبالأخص **شهداء المسيح** لهم إكرامٌ عظيمٌ وطقس عبادة محدَّد، وذلك لأنهم قد صاروا **مَسكنًا للرُّوح القُدُس** في أجسادهم الفانية كما يُعَلِّمُ **القديس بولس الرسول** بكل وضوح قائلًا:« وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ.» (رومية ٨:١١). وإن ما سبق ذكره قد جعل من **قديسنا العظيم جاورجيوس** إناءً **للرُّوح القُدُس**، لهذا فقد نال «إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لاَ يَبْلَى.» (١بطرس٥:٤)، ويتشفع إلى الله وأب الجميع من أجل جميع المتضرعين إليه.

فها مع المرتل نهتف ونقول: «أيها القديس جاورجيوس اللابس الجهاد، تشفع إلى الله الآب من أجل خلاص نفوسنا **وأَنْتِ يا أم الله الفائقة البركات سيدتنا والدة الاله**، تشفعي إلى ابنك وإلهك من أجلنا جميعًا.» آمين

وجميعكم سالمين من وباء الكورونا

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

الصلاة الربَّانيّة - للقديس يوحنا الذهبي الفم

« فالصلاة الربَّانيَّة تُعلِّمنا أن نبتهلَ ابتهالًا جماعيًّا من أجل إخوتنا. وفي واقع الأمر، لا نقول: «أبي الذي في السموات» بل «أبانا»، إذ نتضرّع وقتئذٍ من أجل كُلِّ الجسد الذي نُكَوِّن جزءًا منه، واضعين دومًا، نُصْبَ أعيُنِنَا، خير القريب ومصلحته، لا مصلحتنا يومًا من الأيام. فبالصلاة الربَّانيَّة تُزيل بهذه الكلمات العداوات، وتقمع الغطرسة، وتنبذ اللامساواة في الأمور الإنسانيّة.»

تُسجِّل رسالة غلاطية الرَّد الحاسم القويّ **على بعض الكنائس الجديدة** التي خضعت لنفوذ بعض المسيحيين من **أصل يهودي**، كانوا يُبشِّرون في هذه الكنائس «**بإنجيل آخر**» (غلاطية ١: ٦-١٠). إنَّ ما قام به هؤلاء المسيحيون من **أصل يهودي** تَكرَّرَ كثيرًا في تاريخ الكنيسة، حيث ينمو البعض - تحت ضعف التأثُّر بالرُّوح القدس ونسيان التعليم المسيحي الصحيح - نحو الظنّ بأنَّ تنفيذ بنود الناموس القديم مثل الوصايا العشر يكفي للخلاص.

لقد علَّم هؤلاء المعلِّمون بأنَّهُ لكي يصير الأُممي (أي غير اليهودي) مسيحيًّا لابُدَّ أنْ يتحوَّل ليصير **يهوديًّا أولًا**، لكي يتبرَّر أمام الله في اليوم الأخير للدينونة. وهذا يستدعي أنَّ هذا الأُممي لابُدَّ أن يُراعي أولًا: **فريضة الختان** (غل ٢: ٣؛ ٥: ٢-٤ و١١و١٢؛ ٦: ١٢و١٣)؛ وثانيًا: **مراعاة الأيام اليهودية المقدسة مثل السبت وغيرها** (غل ٤: ١٠)؛ وثالثًا: **يحترس بالامتناع عن بعض أنواع معينة من الطعام** (غل٢: ١١-١٤).

- لقد كانت ردود **القديس بولس** نابعة من إيمانه الشديد بأن العصر الجديد لتعامل الله مع البشرية قد أشرق، فقد أقام الله في ملء الزمان الجديد عهدًا جديدًا مع الشعب الجديد الذي يضمُّ معًا الأُمميين مع اليهود (غل ١: ٤؛ ٤: ٤؛ ٤: ٢٤و٢٨؛ ٣: ١٧) (١)، بعد أن كان اليهود يعتبرون أنفسهم هم وحدهم شعب الله المعزَّز المكرَّم الحامل وحده لوعود الله.

- ومن هذا المنظور (الشعب الجديد الذي يضمُّ كل أجناس البشريَّة)، فإنَّ إعادة وضع تلك الحدود التي تفصل وتميِّز بين **اليهود والأُمميين**، كانت **أكبر إيذاء** للعهد الجديد، وعودة إلى أيام العهد القديم **بتقسيمها العنصري** لخليقة الله (غل ٢: ١٥-٢١)، وبالتالي فهي تُعتبر عودة إلى **حلول لعنة الناموس** على البشر الذين يفشلون في حفظ قوانين الناموس وفرائضه (غل ٣: ١٠-١٤).

وبهذا فإنه يترتب على ذلك:

١ - **إلغاء** كل ما عمله المسيح في تجسُّده وموته وقيامته **بإلغاء لعنة الناموس** (غل ٤: ٤؛ ٢: ٢١؛ ٥: ٤؛ ٣: ١٣و١٤).

٢ - **إلغاء** حلول الرُّوح القدس في النفس البشرية المعتَبَر أنه **البديل للناموس** الذي حُفِرَ على لوحي حجر ويرمزان **إلى قساوة قلب بني إسرائيل كمثل الحجر** (غل ٣: ١-٥).

٣ - وأخيرًا، فهو يؤدِّي إلى **الانطراح بعيدًا** عن وعد النعمة المتحقِّق والآتي من الله، كما ورد في إنجيل يوحنا: «لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا.» (يوحنا ١: ١٧)، - «والذين منكم يطلبون أن يتبرَّروا بالشريعة يقطعون كل صلة لهم بالمسيح ويسقطون من النعمة» (غل٥: ٤) (حسب الترجمة الجديدة).

وباختصار، فإن العودة **إلى الاتكال على الناموس** كوسيط بين الله والناس، **هو خطأ فادح** في حقّ تجسُّد ابن الله وعمله الفدائي للبشرية، وإرساله **الرُّوح القُدس** ليسكن في قلوبهم اللحمية ليكون هو الناموس الجديد، ناموس **المسيح**.

حقيقة الفرائض الناموسية في ضوء نعمة المسيح:

وعلى هذا الأساس، كانت مناقشة **القديس بولس** للناموس تأخذ اتجاهين:

- الاتجاه الأوَّل: إنَّ «**أعمال الناموس**» لا تجعل الإنسان بارًّا أمام الله، فإن العلامات الظاهرة في الجسد، مثل **فريضة الختان**، **أو مراعاة حفظ السبت**، **أو الاحتراس من تناول الأطعمة المُحرَّمة**، وهذه يسميها **القديس بولس**:«**أعمال الناموس**»؛ هذه الأعمال الظاهرة أمام الناس لا يمكن أن تجعل الإنسان **بارًّا** أمام الله.

والسبب في هذا مزدوج: فأولًا: لقد ثبت أنه ليس أحد قادرًا أن يحفظ كل بنود الشريعة حتى يُحسب «**بارًّا**» أمام الله. وحتى هؤلاء المعلِّمون

أنفسهم يشرحون ذلك بعدم قدرتهم على فعل «**الناموس**» (غل ٦: ١٣). وهؤلاء المسيحيون الغلاطيون الذين انساقوا وراء هؤلاء المعلِّمين، سوف يكتشفون ذلك إنْ هُم حاولوا أن يحملوا هذا «**النِّيْر**» (غل٥:٣)، والذي أَعلنه الرُسل مجتمعين في أورشليم على فم **القديس بطرس الرسول** بقوله عن هذا **النِّيْر**: «لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلاَ نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ» (أع ١٥: ١٠). وخبرات شعب إسرائيل في العهد القديم مع **لعنة الناموس** بسبب عدم طاعتهم تُثبت أنَّ هذا القول بعدم استطاعة أحد حمل هذا «**النِّيْر**» هو صحيح (غل ٣: ١٠-١٢، كولوسي ٢: ١٤).

والسبب الثاني في أنه من المستحيل حفظ **بنود الناموس**، هو أنَّ **القديس بولس** يذكر ما يراه في هذه القضية الهامة في رسالة غلاطية ٢: ١٦ حينما يقول: «لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَ يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا.» (ويقصد بكلمة «**جسد**» ليس فقط الجانب المادي من الإنسان مثل **فريضة الختان** التي تُعمل في الجسد، والتي كان المناوئون يريدون أن يمارسها الغلاطيون ؛ بل إنَّ كلمة «**جسد**» تعني أيضًا الضعف البشري الذي يَحُول بين الإنسان وبين تنفيذ كل **بنود الناموس**، كما في (تكوين ٦: ٣و١٢، ونبوَّة إرميا ١٧: ٥، ونبوَّة إشعياء ٤٠: ٦).

وهذه الكلمة: «**الجسد**» هي التعبير المختصر لدى **القديس بولس** عن **انعدام المناعة ضد الخطية** لدى الإنسان غير المبرَّر بنعمة الله وغير المنقاد ولا السالك **بالرُّوح القُدُس** (غل ٥: ١٩و٢٤؛ ٦: ٨).

ولكن لكي نرفع «**أعمال الناموس**» هذه إلى مستوى الحياة في توافق مع عهد الشركة مع **الله** الذي عَقَدَهُ **الله** مع البشرية الجديدة بتجسُّد ابنه **يسوع المسيح**، كما يقول **القديس بولس**، فهو بأنْ نعترف بالحقيقة المُرَّة والحلوة معًا، بأن نعترف بأن هذه الشركة مع **الله** أبعد ما تكون عن أي إنسان - سواء كان يهوديًا أو أُمميًّا - لأن الميل البشري لعصيان **الله** يمنع أي جسد من **طاعة الناموس تمامًا** (غل٢: ١٦)، وهو متوافق مع ما قرَّره **الله** منذ بدء الخليقة بعد **عصيان آدم**: «كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ.» (تك٦:٥)؛ أمَّا الجانب الحلو من هذه الحقيقة فهو أنَّ **الناموس بكل لعناته** على البشر، بسبب **عصيانهم بنود الناموس** قد أُلغي بقوَّة الناموس الجديد الذي أتاه **المسيح**، وجعل تنفيذه ممكنًا **بالرُّوح القُدُس** الذي أرسله **الله** ليسكن في كل بشر. وهذا ما سنوضِّحه بعد قليل.

أمَّا الاتجاه الثاني فهو أنَّ «**أعمال الناموس**» لا يمكن أن تضع الإنسان داخل شركة العهد الأبدي مع **الله**، وذلك لأنَّ العهد الذي كانت «**أعمال الناموس**» جزءًا لا يتجزأ منه، وشرطًا أساسِيًّا لقيام هذا العهد، كان **عهدًا مُؤقَّتًا**. ويُظهر **القديس بولس** هذه التضاد بين عهد **الله** القائم على «**أعمال الناموس**» أنه «**مؤقت**»؛ وبين الوعد والعهد اللذين قطعهما **الله** قبل ذلك مع **إبراهيم**، والقائم على «**الإيمان**» وأنهما وعد وعهد أبديان، هذا العهد الإبراهيمي هو الذي تحقَّق في **شخص المسيح** (غل ٣: ١٥-١٨).

ولماذا كان العهد القائم على «أعمال الناموس» مؤقَّتًا؟

ذلك لأنه أُعطِيَ «**من أجل التعدِّيات**»، أي بسبب تعدِّيات بني البشر المتكررة على مشيئة **الله**. **والقديس بولس** يذكر هذا السبب أنَّ **الله** أعطى **الناموس** عند جبل سيناء، لكي يُعلن بوضوح **خطايا إسرائيل**، بعد أن كانت غير محدَّدة وغير واضحة أنها «**تعدِّيات**» و«**خطايا**» **ضد** مشيئة **الله**. حتى أنه في نفس اللحظة التي كان **الله** يُعطي فيها **الناموس لموسى** فوق أعلى الجبل، كان شعب إسرائيل عند سفح الجبل **يكسرون أول وصية في الناموس**، وهي وصية عبادة **الله** وحده والحذر من **عبادة الأصنام**، حيث كانوا يعبدون «**العجل الذهبي**» (خر ٣٢: ٧و٨)! فالسبب الذي من أجله أُعطِيَ **الناموس**، كان **إظهار الخطايا أنها خطايا!** لذلك فكان **الناموس موقوتًا بحالة خطية** شعب إسرائيل.

الناموس كان «المُؤَدِّب» الذي يقود إلى المسيح:

ثم إنَّ **القديس بولس** كان واضحًا حينما وصف **عهد سيناء** بأنه كان «مؤدِّبنا إلى **المسيح**». و«المؤدِّب» في العالم القديم كان **هو العبد** في الأسرة الرومانية أو اليونانية، الذي يخدم في الأسرة كحارس ومحافظ على النظام، والمعلِّم للأطفال إلى أن يبلغوا نضج الرجولة (غل٢: ٣-٢٥). والأطفال الذين كانوا تحت مسئُولية هذا «المؤدِّب» حينما يكبرون، يتذكَّرون شخصية هذا المؤدِّب، وما يتَّصف به من شخصية خشنة والعصا في يده مستعدًا لأن يُعاقِبَ الطفل على أي عصيان أو خروج على النظام. وكما تشير آية رسالة غلاطية ٣: ٢٣: «وَلكِنْ قَبْلَمَا جَاءَ الإِيمَانُ كُنَّا مَحْرُوسِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، مُغْلَقًا عَلَيْنَا إِلَى (**أن يأتي**) الإِيمَانِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ.»، فإن غرض **القديس بولس** من المقارنة بين **عهد الناموس** وبين «المؤدِّب» له معنيان:

١ - أولًا، فهو يؤكِّد هدف الناموس (مثل المؤدِّب) أن يُعرِّف الإنسان بالخطية ويُعاقِب عليها؛

٢ - وثانيًا وفي نفس الوقت، يؤكِّد على الطبيعة المؤقتة لرسالة الناموس.

وفي الأصحاح الرابع من رسالة غلاطية، الآيات الخمس الأولى، يستخدم **القديس بولس** مجموعة من التشبيهات ليُثبت أنَّ الذين يريدون أن يعيشوا تحت **نير ناموس موسى** هم كمَن يُحرِّكون عقارب الساعة إلى الوراء، إلى الزمن الذي كان فيه اليهود والأمم معًا **مستعبَدِيْن كلهم للخطية**، والمفهوم المشترك لهذه التشبيهات هو كلمة «**العبودية**».

وفي التشبيه الأوَّل «**أركان هذا العالم**» ومَثَل **الوارث القاصر**، يُقارِن **القديس بولس** الوضع السابق للمسيحيين قبل إيمانهم **بالمسيح** أنهم كانوا يعيشون تحت «**أركان هذا العالم**» (**والأراكنة هي جمع كلمة «أركون» وهي العناصر المادية التي يتكوَّن منها الكون المادي، حسب معتقدات فلاسفة اليونان القُدامى**)، أي أنهم كانوا مستعبدين للحياة المادية الجسدية، وهذه إشارة إلى ممارساتهم الوثنية السابقة. ويُشبِّه **بولس الرسول** أيضًا

حياتهم تحت العبودية بحياة الوارث لثروة أبيه وهو ما زال بعد صغير السِّن، حيث لا يفترق هذا **الوارث القاصر** في نظر القانون عن «**العبد**» من حيث عدم قدرته على التمتُّع بميراث أبيه. وتطبيق ذلك على المسيحيين الغلاطيين الذين يقبلون ويخضعون **لعهد وناموس سيناء**، وبهذا يكونون أبعد ما يكونون عن عهد روح الخليقة الجديدة، **إذ هم يعيشون في العهد الأسبق حيث تسود الخطية حياتهم** (غل ٤: ١-١١).

وفي التشبيه الثاني، يُقارِن **القديس بولس** الحياة تحت عهد وناموس سيناء **بهاجر عَبْدَةِ إبراهيم** التي وَلَدَت له ابنه الأوَّل «إسماعيل» (غل ٤: ٢٥). وبهذا يكون قبول **عهد سيناء** بمثابة ارتباط يُبعدنا عن أورشليم الروحيَّة الجديدة التي هي بمثابة الأُم الحُرَّة بعهدها الجديد، عهد الحرية من **لعنة الناموس** (غل ٤: ٢٤و٢٦). وبهذا نعود إلى أورشليم «**الحاضرة**»، أورشليم الأرضية حيث **تبقى اللعنة بقوة الناموس** (غل ٤: ٢٥). وبهذا نكون - إذا قبلنا أن ندخل مرة أخرى تحت الناموس القديم ولعنته - قد قَبِلْنا **هاجر** كأُم لنا، **فنحيا في عبوديتها مع إسماعيل وأبنائها** (غل ٤: ٢٥).

ولكن كيف ننظر إلى الناموس القديم، ونحن في العهد الجديد؟

إن القضية المثارة هنا هي عدم قدرة البشرية على **حفظ العهد الموسوي** وضد شرعية استمرار العهد، لا تستنفد كل تعليم **القديس بولس** عن الناموس في رسالته إلى مسيحيي غلاطية. ففي آيات قليلة أخرى يُقدِّم **القديس بولس الناموس** من الوجهة الإيجابية. ففي رسالة غلاطية - أصحاح ٥ عدد ١٤ - يذكر لتلاميذه هذا المبدأ أنَّ «كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ» (**وهنا يُردِّد القديس بولس مبدأ ناموس العهد الجديد، وهو الناموس القديم المُكمَّل بالمسيح**). ثم في أصحاح ٦ عدد ٢ يحثّ المؤمنين على أن يُتمِّمُوا «ناموس **المسيح**» حينما يحملون بعضهم أثقال بعض. هذه التصريحات تبيِّن إيجابية نظرة **القديس بولس للناموس**، فهو لا يُسفِّه أية وَصِيَّة في **الناموس** أو ينعتها بأنها قد أُبطِلَت؛ بل هو يعني بكلمة «**الناموس**» لعناته على **عصيان بنود الناموس**، وكذلك **تحديداته** ضدّ دخول الأُمم إلى شعب الله. هذا هو **الناموس** الذي أُلغي وأُبطِل بناموس **المسيح**.

إنَّ كُلّ جهاد **القديس بولس الرسول** كان **ضدّ فرض الناموس القديم المؤقت الحامل للدينونة واللعنة**، فرضه على عهد المصالحة الأبدية التي تمَّت **بدم المسيح على الصليب** ودينونة الخطية في جسده، وضد عزل الأُمم ووضع الحاجز بينهم وبين دخولهم إلى عهد الله مع البشرية (هذا الحاجز يُسمِّيه **القديس بولس**: «**حاجز العداوة**» في رسالة أفسس ٢: ١٤-١٨).

أما **بنود ووصايا الناموس الموسوي القديم**، فهي التي يجب أن يُنفِّذها المؤمنون وهم منقادون **بالرُّوح**، وبالتالي يسلكون **بالرُّوح القُدُس**. فالرُّوح القُدُس في نفوس المؤمنين، الذي هو **نعمة بِرِّ المسيح** على البشرية، هو ضمان تنفيذ ناموس الوصايا المُكمَّلة بالمحبة (غل ٥: ٢٢و٢٣؛ ٦: ٢، أف ٦: ٢).

(١) الترجمة الجديدة لهذه الآية أوضح من الترجمة القديمة: «... الشريعة التي جاءت بعد مرور أربعمئة وثلاثين سنة لا تقدر أن تنقض عهداً أثبته الله (وهو الوعد لإبراهيم)، فتجعل الوعد باطلًا» .

القديس إسحق، تلميذ القديس أنطونيوس الكبير، في حديثة لكاسيان

وكما أنَّ تاج بُنيان كُلّ الفضائل هو اتقان الصلاة، كذلك أيضًا اذا لم ترتبط كُلّ فضيلة بالصلاة فانَّها لا يمكن أن تَقْوَى أو تدومُ.

لذلك فإنَّ هدوء الصلاة ودوامها لا يمكن التوفر عليه أو الاستدامة فيه بدون ممارسة الفضائل.

وكذلك الفضائل، التي تعتبر الأساس للصلاة، لا يمكن تكميلها بدون الاستمرار في الصلاة.

لذلك فانَّنا في هذا الحديث القصير لا نستطيع أن نشرح آثار الصلاة ومفاعيلها، أو نُحيط بأهدافها الرئيسيَّة التي لا يمكن بلوغها إلَّا بالتوفر أولًا على ممارسة الفضائل.

غير أنَّه يلزمنا على كُلِّ حال أن نحصر ونوضح ما ينبغي حفظه وما ينبغي التخلِّي عنه من أجل اتقان الصلاة، كما يعلّمنا المثل المذكور في الإنجيل فيما يختص ببناء البُرج الروحي العالي، وما ينبغي من

حساب النفقة مُقدَّمًا.

لأنَّ كُلّ ما نستعد به ونستحضره لبناء البرج الروحي، والارتفاع به يُصبح بدون أي قيمة، ولا يصلُح أن نبني أو نرتفع عليه بشيء، إلَّا اذا تخلَّصنا أولًا **من العيوب والأخطاء**، وحفرنا وعمَّقنا حتى نُزيل **كلّ دَنَسِ النفس وشهواتها المتنفّعة الميَّتة**، وحينئذ نرسي أساسًا متينًا من البساطة والتواضع على أَرضيّة قلوبنا الحيَّة الصلبة كصخرة الإنجيل، ونرتفع بعدئذ ببرج الفضائل الروحانيّة - بالصلاة - فينمو غير متزعزع، ويرتفع حتى يتصل بالسماء في أمان ووثوق، لأنّه حينما **يستقرّ على هذا الأساس**، فإنّه مهما ثقلت عليه **عواصف الشهوات، ومهما صادمته موجات الاضطهادات، ومهما هاجمته قوات الأعداء، لا يسقط قطّ، بل ولا يصيبه الضرر.**

• كل مؤمن ومؤمنة عند يقظتهم من النوم باكرًا، وقبل أن يباشروا أي عمل، فليغسلوا أيديهم ويصلُّوا لله، وهكذا يمضون إلى أعمالهم.

لكن إن كان هناك تعليم عن كلمة الله، فليختر كل واحد لنفسه أن يمضي إليه، حاسبًا هذا في قلبه، أنَّ الذي يسمعه هو الله يتكلم بفم الذي يعلِّم. لأنه بعد أن يُصلي في الكنيسة يكون قادرًا أن يبتعد عن **كل شرور** ذلك اليوم. ليحسب التَّقيّ أنها خسارة عظيمة إذا لم يمضِ إلى الموضع الذي يعلمون فيه، ولا سِيَّما إن كان يعرف أن يقرأ.

إذا جاء المعلِّم، فلا يتأخَّر واحد منكم عن المضيِّ إلى **الكنيسة**، الموضع الذي فيه التعليم، حينئذ سيُعطَى المتكلم أن يقول ما هو نافع لكلِّ شخص. ويتسنَّى لك أن تسمع ما لم تكن تعرفه، وأن تستفيد بما يقدمه لك **الرُّوح القُدُس** بواسطة الذي يُعلِّم. وهكذا يكون إيمانك ثابتًا بما تسمعه، ويُقال لك أيضًا هناك ما يجب عليك أن تفعله في بيتك. لأجل هذا فليُسرع كل واحد في الذهاب إلى **الكنيسة**، الموضع الذي يفيض فيه **الرُّوح** .

وإنْ كان يومًا ليس فيه تعليم، فليأخذ كل واحد كتابًا مُقدسًا في بيته، وليطالع ما يبدو مفيدًا لهُ.

وإذا كنت في بيتك، **فَصَلِّ** في الساعة الثالثة وسبّح الله. وإن كنت في موضع آخر ويحضر ذلك الوقت، فَصَلِّ في قلبك إلى الله. لأنَّ في تلك الساعة نُظِر **المسيح** وهو يسمر على الخشبة. ولأجل هذا، ففي **العهد القديم يأمر الناموس** أن يُقدَّم خبز التقدمة دائمًا في الساعة الثالثة مثالاً **لجسد ودم المسيح**. وأن يُذبَح الحمل غير الناطق رمزًا للحمل الذي هو لا عيب فيه، لأنَّ **المسيح** هو الراعي، وهو أيضًا الخبز النازل من السماء.

وصلِّ أيضًا كذلك في الساعة السادسة، لأنه في تلك الساعة لما عُلِّق **المسيح** على خشبة الصليب، حدثت ظلمة على الأرض كلها في مثل هذه الساعة. **فليصلِّ** إذًا في تلك الساعة صلاة قويَّة، اقتداء بالذي صَلَّى وصيَّر كل الخليقة **مظلمة لليهود** غير المؤمنين.

وفي الساعة التاسعة، أطيلوا الصلاة والتمجيد، متشبهين بنفوس الأبرار الذين يباركون **الرَّب الإله الحقّ** – هذا الذي ذَكَر قديسيه وأرسل لهم **ابنه** الذي هو كلمته لينير عليهم. لأنه في تلك الساعة طُعن **المسيح** في جنبه بِحَرْبَةٍ، فخرج منه دم وماء. وأنار بقية ذلك اليوم إلى المساء. لأجل هذا عندما بدأ في الرُّقاد (الموت) ابتدأ يوم آخر، فقدَّمَ بذلك مثالًا للقيامةِ.

صَلِّ أيضًا قبل أن تريح جسدك بمضجعك.

وفي نصف الليل انهض، اغسل يديك بماء، **وصلِّ** وإن كانت لك زوجة **فَصَلِّيا** معًا. وإن كانت لم تصر بعد مؤمنة، فانفرد **وصلِّ** وحدك، وارجع إلى موضعك مرَّةً أخرى.

أنت المرتبط بالزيجة لا تكسل عن الصلاة، فَلَسْتُمَا نَجِسَيْنِ. لأنَّ الذين قد اصطبغوا، لا يحتاجون للاستحمام مرة أخرى لأنهم أطهار.

فإذا نفخت في يديك ورشمتَ ذاتك (بعلامة الصليب) بالهواء الرطب الخارج من فمك، فإنك طاهرٌ إلى رِجْلَيْكَ، لأنَّ هذه هي عطية **الرُّوح القُدُس**. وقطرات ماء المعمودية التي تصعد من الينبوع الذي هو قلب المؤمن تُطهر الذي يؤمن.

فمن الضروري أن **يُصلَّى** في تلك الساعة، لأن **الشيوخ** الذين سلّموا إلينا **التقليد**، علمونا هكذا: إنه في تلك الساعة، كل خليقة تهدأ لتسبح **الرَّب**، النجوم والكواكب تقف، والمياه تقف في تلك اللحظة، كل قوات الملائكة تخدم **الله** وتسبحه مع نفوس الأبرار.

فلأجل هذا يجب على المؤمنين أن **يُصَلّوا** في تلك الساعة. وللشهادة على هذا، أنَّ **الرَّب** أيضًا قال: «فَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ صَارَ صُرَاخٌ: هُوَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ، فَاخْرُجْنَ لِلِقَائِهِ» (مت٢٥:٦). وكرَّر قائلًا: «فَاسْهَرُوا إِذًا لأَنَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلاَ السَّاعَةَ الَّتِي يَأْتِي فِيهَا ابْنُ الإِنْسَانِ.» (مت٢٥:١٣).

وإذا صاح الديك، قم **وصلِّ** كذلك، لأنه في تلك الساعة عند صياح الديك، **أنكر بنو إسرائيل المسيح**، هذا الذي قد عرفناه نحن بالايمان، مترقبين يوميًّا على رجاء، ظهور النور الأبدي عند قيامة الأموات.

كل هذا، إذا فعلتموه يا جميع المؤمنين وتذكرتموه، وعلَّمتموه لبعضكم البعض، وتُعلِّمون الموعوظين أن يفعلوه، فإنكم لا تُجرَّبُون ولا تسقطون أبدًا، لأنَّكم تذكرون **المسيح** كل حين.

وعندما **تُجرَّب** ارشم جبهتك بمخافة دائمًا بعلامة **الصليب**، لأنَّها العلامة الظاهرة والمعروفة **ضد إبليس** إذا صنعتها **بإيمان**، لا لكي تُنظر من الناس، بل بحذق تضعها مقابلك مثل الترس. لأنَّ **إبليس المضاد** عندما ينظر فقط قوَّة القلب، وأنَّ الإنسان الداخلي عاقل، وأنه مرشوم داخلًا وخارجًا برشم **الكلمة**، فإنه يهرب مُسرعًا مطرودًا **بالرُّوح القُدُس** الذي يسكن فيك.

هذا الذي ابتدأ **موسى** وأعلنه لنا بخروف الفصح الذي ذُبح. وأمر بأن يُلطَّخ دمه على قائمتي الباب والعارضة، ليعرّفنا بالإيمان الذي أُعْطِيَ لنا بواسطة **الحمل الكامل**.

هذا إذا رشمنا به جباهنا وأعيننا بيدنا، فإنَّنا نطرد **الذي يريد هلاكنا**.

منتهى عطاء الله للإنسان أنَّهُ أَخَذَ جسدنا وتجسَّد، وأعطانا جسده ودمه لنأكله ونشربه لنتحد به:

من أهم الأمور أنْ نتعرَّف على المعجزة الحادثة في أسرارنا، ونعرف ما يتمّ فيها، ولماذا مُنحت لنا، وما الربح الرُّوحيّ الذي نستمده منها؟

إنَّنا نصير بها جسدًا واحدًا مع **الرَّب** و« أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ.» (أف ٥: ٣٠).

فلينصت جَيِّدًا كل مَن يتقدَّم إلى الأسرار إلى ما أقول: لقد قَصَدَ **الرَّب** أن يجعلنا واحدًا معه، ليس فقط بمشاعر المحبة، بل وبالفعل الواقعي أيضًا، حتى نصير ممتزجين به في جسدٍ واحد.

وقد حقَّق ذلك بالمأكل الحقّ الذي وهبه لنا مجَّانًا، مُعَبِّرًا بذلك عن مقدار محبته التي أحبنا بها.

وهكذا، فقد مزج نفسه بنا حتى جعل جسده يمتزج بأجسادنا لكي نصير معه كيانًا واحدًا، بمثل ما تكون أعضاء الجسد متصلة بالرأس.

فإن هذه هي سِمَةُ المحبة الشديدة (أنْ تؤول إلى الاتحاد).

لقد عبَّر **أيوب** عن ذلك مُشيرًا إلى عبيده الذين أحبوه لدرجة أنهم كانوا يشتهون أن يصيروا ملتحمين بجسده. فقد كانوا يقولون بسبب شدة محبتهم لهُ: «مَن يُعطينا أن نشبع من لحمه...» (أيوب ٣١: ٣١ حسب السبعينية). فالذي كانوا يشتهونه من جهة سيِّدهم، هذا قد حقَّقه لنا **المسيح**، لكي يُظهِرَ محبته لنا، ولكي يُدخلنا في علاقة أوثق به! فهو لم يجعلنا فقط نراه، بل أعطانا أيضًا أن نلمسه، بل ونأكله ونستقبله داخلنا بالتَّمام! فنشبع من **حُبِّهِ** على قدر ما اشتهيناه!

فلْنَعُدْ إذن، من **المائدة المقدسة كمثل الأُسُود المملوئين غيرة**، ولنصِر مُرهِبين **للشيطان**، إذ نذكر باستمرار ذاك الذي فينا الذي هو رأسنا، ونذكر الحبّ الفائق الذي أظهره من نحونا.

إنَّ الأمهات كثيرًا ما دَفعْنَ أطفالهن إلى مرضعات، «وأما أنا – يقول **الرَّب** – فإني أُغذيكم بجسدي الخاص، لكي أجعلكم جنسًا كريمًا، وأُعطيكم من الآن رجاء الخيرات العتيدة.

فالذي يُعطيكم ذاته في الحياة الحاضرة، فكَم بالأحرى في الآخرة؟

لقد ارتضيتُ بأن أصير أخًا لكم، ومن أجلكم اشتركتُ معكم في اللحم والدم، والآن، هوذا أنا أُسلِّم إليكم مرة أخرى جسدي ودمي اللذين بهما صرتُ شريكًا في جنسكم».

هذا هو، يا أحبائي، **الدم الإلهي** الذي يُجلِّي فينا صورة **المسيح** ملكنا، ويُعطي نفوسنا بهاءً فائقًا لا يزول طالما هو يرويها ويُغذيها متواترًا. فهذا **الدم** يروي نفوسنا وينعشها ويمنحها أعظم قُوَّة.

حينما نتناوله باستحقاق، فهو يجعل **الشياطين** تهرب منا، ويستدعي فينا **الملائكة والله نفسه ربّ الملائكة!**

إنَّ **الشياطين** تهرب خائرة أول ما ترى فينا **الدم الإلهي**؛ وأما **الملائكة** فتقترب وتسجد.

هذا **الدم** المسفوك هو الذي غسل المسكونة كلها **من أقذارها**...

هذا **الدم** هو تقديس نفوسنا وخلاصها، إنه يزيدها بهاءً ويشعلها كالنار،إنه يُعطينا فهمًا مستنيرًا أكثر من لهيب النار، ونفسًا لامعة أكثر من الذهب.

إن هذا **الدم** لَمَّا سُفك على الأرض، قد جعل السماء في متناول أيدينا!

فبالحقيقة، **ما أَرْهَبَ أسرارَ الكنيسة! وما أَرْهَبَ مذبَحَهَا المقدس!**

من الفردوس الأرضي كانت تنبع عين مياه تتفرَّع إلى عدة أنهار مادية، والآن من هذه **المائدة** يخرج ينبوع مياه روحيَّة تندفع منه أنهار نِعَم روحية...لو استطاع أحد أن يغمر يده أو لسانه في الذهب المنصهر، لكان يستردها وكلها مكسوَّة بالذهب هكذا، بل وبطريقة أعظم من هذه، يكون الأثر الحادث في النفس التي تشترك في هذه الأسرار...إنَّ هذا **الدم** صار ثمنًا لافتداء العالم. به اقتنى **المسيح كنيسته** (أع ٢٠: ٢٨)، به قد زيَّنها بكل موهبة...

إنَّ الذين يتناولون من هذا **الدم** يصيرون ملازمين **للملائكة ورؤساء الملائكة والقوات السماوية**.

بل يكونون لابسين ثوب **المسيح** نفسه ملكهم وحاملين أسلحة **الرُّوح**، بل إني بقولي ذلك لم أُعبِّر عن الحقيقة العظمى:إنهم يصيرون لابسين **المسيح** نفسه ملكهم! هذه هي الحقيقة العظمى والمُدهشة بالحقِّ.

فإذا ما اقتربتم منها بطهارة، فإنكم تقتربون من **الخلاص**!﴾ (١)

بأي طهارة وشوق فائق ينبغي أن نتقدَّم إلى هذا السِرّ:

﴿ إنه لم يكتفِ بأن يصير إنسانًا وأنْ يُضْرَب ويُقتل، ولكنه أراد أيضًا أنْ يَمزج نفسه بِنَا، وذلك ليس فقط بالإيمان، بل وبالفعل الواقعي أيضًا، فقد جعلنا جسدًا له... فبأيِّ طهارةٍ فائقة ينبغي أن يتقدَّم ذلك الذي ينال من مثل هذه **الذبيحة**؟

وأَلَا ينبغي أن تكون تلك اليد التي تقسم مثل **هذا الجسد** أنقى من **أشعة الشمس**؟ وذلك الفم الذي يمتلئ **بالنَّار الإلهية**؟ وذلك اللسان الذي يصطبغ بهذا **الدم الرهيب**؟ فانظرْ إلى مقدار الكرامة التي دُعِيتَ إليها، وإلى **سُمُوِّ المائدة** التي ستشترك فيها.

فالشيء الذي ترتجف منه **الملائكة** بمجرد رؤيته، ولا تجسر أن تنظر إليه بدون رعدة، بسبب شدة الضوء المنبعث منه؛ هذا الشيء بعينه هو الذي نأكله. وبه هو نفسه نحن نَمتزج لنصير به جسدًا واحدًا ولحمًا واحدًا مع **المسيح**.

«مَن يُخبر بأعمال الرَّب العظيمة، ويجعل كل تسابيحه مسموعة؟!» (مز ١٠٦: ٢ حسب السبعينية)، أيُّ راعٍ عَالَ رعيته بأعضائه الخاصة؟ ولماذا أتكلَّم عن الرُّعاةِ بينما توجد أُمهات كثيرات بعد أنْ احتملن آلام الولادة، دفعن أطفالهن إلى نساء أُخريات كمرضعات.

ولكنه لم يطِقْ أنْ يفعل هكذا، بل **هو نفسه** يُغذينا **بدمه الخاص**، وبكل وسيلة يمزجنا بنفسه.

فاعلم جيدًا أنه بميلاده قد اشترك في طبيعتنا.

ولكنك تقول: وما المنفعة من ذلك لجميع الناس؟ **بَلَى**، إن هذا يخصّ الجميع! لأنَّه إنْ كان قد جاء في طبيعتنا، فمن الواضح أنَّ هذا الإحسان قد صار **للجميع**. وإن كان للجميع، إذن، فلكل واحد منا بخصوصيته.

ولكنك تقول: فمن أين إذن، أنَّ الجميع لم ينتفعوا بمجيئه؟

هذا التقصير لا يرجع إليه، إذ أنه قصد أن يتجسَّد من أجل الجميع، ولكن التقصير من أولئك الذين **لم يشاؤُوا الخلاص**. إذن، فهو يمزج **نفسه** في الأسرار مع كل واحد من المؤمنين. والذين ولدهم، أولئك يطعمهم من ذاته ولا يدفعهم لآخر. وبهذا أيضًا هو يقنعك أنَّه قد أخذ جسدك. فلا نكن إذن، **جاحدين لإحسانه**؛ بعدما استؤهلنا لمثل هذا **الحب** ولمثل هذه الكرامة.

أَلاَ ترون الرُّضعان كم يشتهون أثداء أُمهاتهم، وبكم من الاشتياق يُغَبِّتُ الطفل شفتيه في الثدي؟ فبنفس الاشتياق ليتنا نقترب إلى **هذه المائدة**، ونرتشف **من كأس الحياة**.

ليتنا نجتذب منها لأنفسنا نعمة **الرُّوح**، وليكن حزننا الوحيد هو أن نُحرم من هذا القوت السماوي.

إنَّ الأسرار التي تُقام أمامنا ليست من عمل إنسان، فالذي أقامها في ذلك الزمان في ذلك **العشاء الأول** هو **بعينه** الذي يُقيمها الآن.

وأما نحن (الإكليروس) فلسنا سوى **خدَّام له (للمسيح)**.

ولكنه **هو بنفسه** الذي يُقدِّس القرابين وينقلها (٢)...فهذه المائدة هي نفس المائدة التي كانت في ذلك الزمان ولا تنقص عنها شيءٌ.

ليس أنَّ **المسيح** أقام تلك والإنسان (**الكاهن**) يُقيم هذه الآن، ولكن **المسيح هو بنفسه** الذي يُقيم هذه أيضًا بالسوية.

فنحن الآن في العليَّة حيث كانوا مجتمعين في ذلك الزمان!﴾ (٣)

---

(١) عظة ٤٦ على إنجيل يوحنا حسب الترجمة الإنجليزية المنشورة في: NPNF, 1st ser. Vol. XIV, p ١٦٦-١٦٧. وذلك بالمقارنة مع الترجمة الفرنسية المنشورة في: Oeuvres Complètes, trad. Par M. l'abbé Joly, Paris, ١٨٦٤, t. I, p ٥٦٦ ss.

(٢) قارن مع صلاة القدَّاس الغريغوري: « يا الذي بارك في ذلك الزمان، الآن أيضاً بارك... يا الذي قدَّس... الآن أيضاً قدِّس. يا الذي قسَّم في ذلك الزمان، الآن أيضاً قسِّم. يا الذي أعطى... الآن أيضاً أعطِنا وكل شعبك...».

(٣) عظة ٨٢: ٥ على إنجيل متى حسب الترجمة الإنجليزية المنشورة في: NPNF, 1st ser. Vol. X, p ٤٩٥,٤٩٧. وذلك بالمقارنة مع الترجمة الفرنسية المنشورة في: Oeuvres Complètes, trad. Par M. l'abbé Joly, Paris, ١٨٦٤, t. VII, p ١٥٧.

الله ليس محتاجًا لصلواتنا، فهو يعرف ما نحتاجه حتى قبل أن نسأله، لأنَّه عارف بكلّ شيء ورحوم ويسكب من جوده الطبيعي حتى على الذين لا يسألون، ولكن الصلاة ضروريّة لنا لأنها تجعلنا مُفرزين ومُخصَّصين لله.

الأسقف اغناطيوس بريانتشانيوف (١٨٠٧-١٨٧٦)

ولِدَ في سنة ١٨٠٧م في مدينة سان بطرسبرج بروسيا. تلقى تعليمه في كلّية الهندسة بنفس المدينة، اشتغل مهندسًا، ثمَّ دخل الدير للرهبنة، ألّف نسكيات لاهوتية أشهرها «صلاة يسوع» حيث تُرجِمَت الى لغاتٍ كثيرة، سيم اسقفًا، ورعى شعب الكنيسة بمحبة وإخلاص وتضحية. رقد سنة ١٨٧٦م .

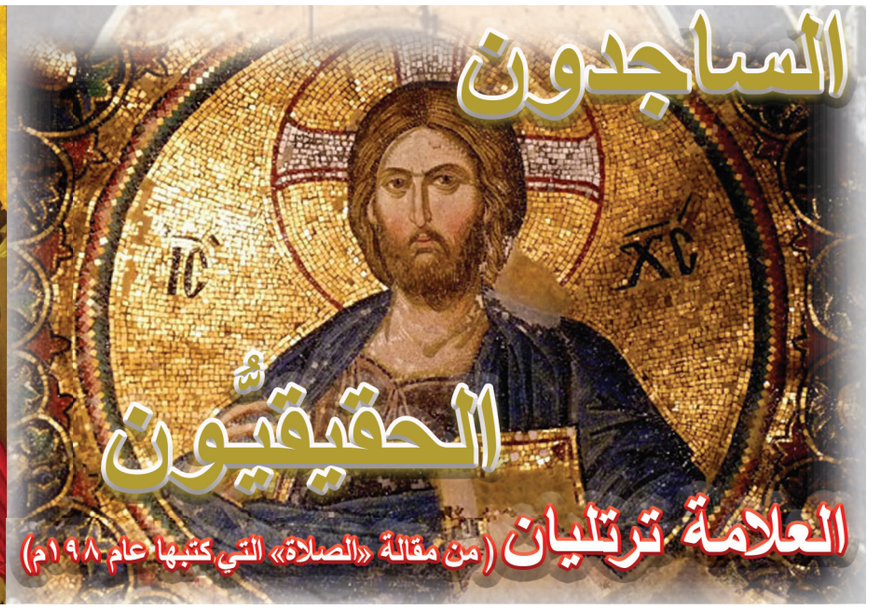

العلامة ترتليان (من مقالة «الصلاة» التي كتبها عام ١٩٨م)

• يُعلِّم الإنجيل ما يطلبه الله. إذ يقول الرَّب: « وَلكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ.» (يو ٤: ٢٣). «الله روح»، لذلك يطلب مِنَ الساجدين له أن يكونوا من نفس الطبيعة. نحن الساجدون الحقيقيُّون والكهنة الحقيقيُّون، إذ نقدم صلواتنا في الرُّوح، نقدم ذبيحة روحيَّة – أي الصلاة – كقربان ملائم ومقبول أمام الله. هذا هو ما طَلَبَهُ وسبق وعيَّنه لذاته. هذه الصلاة المكرسة له من كل قلوبنا، تتغذى بالإيمان، ويتم إعدادها بالحقِّ، هي صلاة بلا عيب بسبب براءتنا، وطاهرة بسبب عفتنا، هي صلاة حَظِيَت بإكليل المُنتصر بسبب محبتنا بعضنا لبعض، هذه الصلاة يجب أن نأتي بها إلى مذبح الله مع الأعمال الصالحة، ووسط التسبيح بالمزامير والتراتيل، وهي سوف تحصل لنا على كل ما نسأله من الله.

ما الذي يمنعه الله عن الصلاة التي تُقدَّم إليه بالرُّوح والحقّ، بما أنَّ هذه هي الصلاة التي يتطلبها؟ ما أكثر الأدلة التي نقرأها ونسمعها ونؤمن بها عن فعالية مثل هذه الصلاة. حقًّا كانت صلاة العهد القديم يمكنها إنقاذ الشخص من النار والوحوش المفترسة والجوع، إلَّا إنها لم تكن قد تسلمت تدبيرها من المسيح بعد، فكم يكون بالأكثر فاعليَّة الصلاة المسيحية! إنَّها لا تجعل ملاك الندى يظهر في وسط النار (الثلاثة فتية)، ولا تسُد أفواه الأسود (دانيال)، ولا تنقل فطور شخص قروي إلى الجائع (حبقوق)، ولا تقضي على كل إحساس بالألم من خلال النعمة الممنوحة، لكنها تُعلِّم بالتحمُّل الصبور أولئك الذين يتألمون، وأولئك مرهفي الحسّ، وأولئك الذين يحزنون. وتزيد النعمة بالفضيلة بحيث يتعرف إيماننا على ما يأتي من الرَّب، وتدرك النفس ما تتألمه من أجل اسم الله.

في الماضي إذن كانت الصلاة تفرض الضربات (موسى)، وتطرد جيوش العدو، وتمنع هطول المطر (إيليا). أمَّا الآن (في العهد الجديد) فصلاة البِرّ تتحاشى **غضب** الله، وتجعل النفس متأهبة لهجوم الأعداء، كما أنها تتشفع من أجل المضطهدين. أي عجب إذا كانت قادرة على انتزاع الماء من السموات، أو حتى في أن تسأل نارًا، وتحصل عليها «كما فعل إيليا وحرق أعداءه» (٢ مل ١)!!

إنَّ الصلاة وحدها هي التي تتغلب على الله، لكن المسيح أراد أن الصلاة لا تفعل شرًّا، وقد منحها كل قوّة من أجل فعل الخير. لذلك ليست لها قوة إلَّا في أن **تستعيد أرواح الموتى عن طريق الموت ذاته، وأن تسترد الضعيف، وأن تشفي المريض، وأن تطرد الأرواح الشريرة، وأن تفتح أبواب السجن، وأن تحل قيود البسطاء. إنها كذلك تغفر الذنوب، وتصُد التجارب، وتخمد الأضطهاد، وتواسي الجبناء، وتُبهج الشجعان، وترجع المسافرين لمنازلهم سالمين، وتُسكِّن الأمواج، وتصعِّق اللصوص، (صعَقتِ الكارثةُ النَّاسَ: أذهلتهم، كان لها وقع شديد عليهم صعقه نبأ مفجع) وتطعم الفقراء، وتوجه الأغنياء، وتقيم الساقطين، وتثبت القائمين.**

الصلاة هي سور الإيمان، هي ترسنا وسلاحنا **ضدّ العدو** الذي يفحصنا من كل الجوانب. لذلك، ليتنا لا نشرع أبدًا في أي أمر ونحن **غير مُسلحين بالصلاة**. لنكن متيقظين لمهمة حراستنا في النهار وسهرنا في الليل. ولنحرس بسلاح الصلاة مستوى قائدنا (المسيح)، ولنصلِّ ونحن ننتظر **نداء بوق الملاك**.

حياة النقاوة عند القديس يوحنا الذهبيّ الفم

« ينبغي ألَّا نحتاج إلى الكلمة المكتوبة، وأن تكون حياتُنا جدّ نقيّة، بحيث تحتلّ نعمة الرُّوح القُدُس مكانة كتاب لأنفسنا، وكما تُسَطَّر المؤلّفات بالحبر، فكذا ينبغي أن تنطبع قلوبنا بنور الرُّوح القُدُس ... لم يكن الله يلجأ إلى وسيلة الكُتب المقدَّسة ليحادث نوحَ وإبراهيم وذراري يعقوب وموسى، بل كان يكلّمهم شخصيًّا، فقد رأى فيهم نفوسًا طاهرة» (العظة حول إنجيل متى).

• نُقدِّم هنا اختبارًا للرئيس العام لتحرير موسوعة *Ancient Christian Commentary on Scripture Series:* ***Thomas C. Oden*** عن تعرُّفه **على الأُرثوذكسِيَّة ودراسته لآباء الكنيسة القديسين القدامى**. عن كتابه:

(The Rebirth of Orthodoxy, Harper Collins 2003).

المسيحية القديمة تعتمد، لا على آراء الأفراد الشخصية، بل على كيف يصوغ الإجماع القديم للكنيسة الحياة اليومية الخاصة للفرد. وقصتي هي شهادة حيَّة على كيف يمكن أن تنقلب حياة شخص من أساسها إذا تقابل مع قديسي المسيحية الكلاسيكية القديمة.

فبعد دراساتي التمهيدية للدكتوراه في **جامعة ييل**، درَّستُ في معهدين للَّاهوت. وبالرغم من أني كنت أظن أني أُدرِّس علم اللَّاهوت، إلَّا أن قلبي كان يُركِّز رؤيته على الأفكار الراديكالية للتغيُّر الاجتماعي وعلى المحاولات الصارخة لتسييس رسالة الكنيسة (**أي انغماسها في السياسة**). وكنت بدون نقد ذاتي أحاول أن أتلاءم مع حركة التحديث هذه التي تدَّعي أنها بمثابة **صوتٍ نبويٍّ للعالم**، ولكني لم أكتشف مدى **القيد** الذي وقعت فيه حركة التحديث **تحت عبودية ادِّعاءات الحركة الإنسانية العلمانية**.

أمَّا الانقلاب في حياتي فقد حدث حينما أخبرني مرشدي اليهودي في البحث الذي كنت أعمله، وهو شخصٌ ودود لكنه انفعالي، بأني سأظل أُمِّيًّا لاهوتيًّا إلى أن أدرس بعمق **أثناسيوس، وأمبروسيوس، وباسيليوس، وكيرلُّس الإسكندري**.

وبصوته الأجش المعتاد، قال لي:

– « يا **توم**، أنت لم تلتقِ بعد مع **العقول العظيمة لتقليد مسيحيتك**. فأنا بعد أيام الشيوعية، وجدتُ أنه يتحتَّم عليَّ أن أقرأ التلمود والمِدْراش بعمق (وهما الكتابان التقليديان لليهودية اللذان يحويان أقوال وتعاليم المعلِّمين اليهود القدامى)، وذلك لأكتشف مَن أنا كيهودي. وأنت **لابُدَّ أن تجلس تحت أقدام الكُتَّاب المسيحيين القدامى**، لتكتشف هويَّتك كرجل الإيمان المسيحي. **وبدون أساس من النصوص الآبائية** سوف تَتِيهُ في ظنك أنك قد وصلتَ. فإنْ كنتَ تنوي أن تتعمَّق لتصير عالمًا لاهوتيًّا حقيقيًّا وليس مجرد مُحيطٍ بعلوم اللاهوت، فلابُدّ أن تقرأ نصوص هؤلاء الرجال».

فذُهِلتُ من كلامه، مما جعلني ألتزم بنصيحته. وحالما بدأتُ أتصفَّح وأدرس هذه النصوص الجميلة للمسيحية الكلاسيكية القديمة، بدأتُ أخرج من متاهة العلمانية، **لأتمتع بأسرار الإيمان المقدسة**، وأسترجع معضلات الوجود الإنساني. وبدلًا من أنْ **أُفسِّر النصوص الآبائية**، وجدتُ **النصوص تُفسِّرني أنا!**

لقد أعفَتْني النصوص الآبائية من أن أسأل جمًّا من الأسئلة: كيف يمكن أنْ يصير الله إنسانًا حقًّا دون أن يتوقف عن كونه الله؟ كيف يمكن **للحريَّة الإنسانيَّة، التي تشوَّهت** هكذا بتاريخ **الخطية**، أن تُفتَدَى على **الصليب؟** إنْ كان الله كلِّي القدرة وكلِّي الصلاح، فكيف يسمح **للخطية** أن تمسك هكذا بتلابيب التطوُّر الإنساني الاجتماعي؟

وكل سؤال كنتُ أظن أنه جديد، كنتُ أجد أنه قد أُجيب عنه. كنتُ على عتبة الدخول في حكمة الأجيال التي في كنيسة الإيمان القديمة، التي اكتشفت أنها **ما زالت حيَّة**، وهي جماعة قائمة. ها أنا الآن أقف **في داخل الحضرة المباركة لشركة القديسين في كل الأجيال**.

ولكن ما الذي غيَّر مجرى حياتي؟ الانتباه لنصوص الكتاب المقدس، وعلى الأخص ما فُسِّر منها بواسطة إجماع المفسِّرين: **أثناسيوس، وباسيليوس، وغريغوريوس النزينزي، والذهبي الفم (في الشرق)؛ وأمبروسيوس، وجيروم، وأوغسطينوس، وغريغوريوس الكبير (في الغرب)**.

وفي عام ١٩٧٢، قرأت المجلد الرابع عشر من مجموعة آباء نيقية وما بعد نيقية: *Nicene and Post-Nicene Fathers* في أيام قليلة وبتركيز شديد. إنه تقرير مُبسَّط بلا تزويق للقوانين الكَنَسِيَّة، بما فيها الأحكام الرعويَّة، وليس فقط **الإعلانات العقائدية، الواردة في المجامع المسكونية وتلك المكانية التي صبَّت في النهاية في المجامع المسكونية العامة** للألف سنة الأولى من المسيحية. ومنذ ذلك الوقت لم أكن كما كنت قبلًا. فقد أثَّرت هذه القراءة بالنسبة لكل شيء يمسُّ عملي باعتباري مُدرِّسًا للَّاهوت، وكاتبًا ورئيس تحرير، بقية أيام حياتي.

لقد سألتُ، فوَجَدَتْني الحكمة القديمة!

• هذه الآية تتميَّز بسرِّية أكثر من بقية تطويبات عظة **المسيح** على الجبل، إلَّا أنَّها تبدو متناقضة مع قول **الرَّب لموسى**: « لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ» (خر٣٣: ٢٠). وحتى إنجيل يوحنا يقول: «اللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ» (يو١: ١٨)، ويقول القديس يوحنا في رسالته الأولى: «اللهُ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ قَطُّ. إِنْ أَحَبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، فاللهُ يَثْبُتُ فِينَا، وَمَحَبَّتُهُ قَدْ تَكَمَّلَتْ فِينَا» (١يو٤: ١٢). **والرسول بولس** يقول: «الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ» (١تي ٦: ١٦). فكيف، إذن، يمكن تفسير «... لأنهم يُعاينون الله»؟

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** عن هذه الآية:

﴿يُطلق **الرَّب** صفة «أنقياء» على الذين بلغوا كل فضيلة ولا يوجد في نيَّتهم أي **شرّ**، أو الذين يعيشون في اعتدال وضبط نفس، لأنه لا يوجد ما نحتاجه كثيرًا لكي نرى **الله** أكثر من هذه الفضيلة الأخيرة. ولذلك قال **الرسول بولس**: « اِتْبَعُوا السَّلاَمَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ» (عب ١٢: ٤)، فهو يتكلَّم هنا عن بصيرة يمكن أن يقتنيها الإنسان.﴾ (١)

وقد يفهم البعض هذه الآية على أنها تخص ملكوت **المسيح** الآتي، ولكن **العديد من الآباء** يرون أنَّ لها معنًى مزدوجًا: الأوَّل: **أُخروي**، والثاني: **يشير إلى الحاضر**. ولكن هذا المعنى الثاني قد يُخالف بعض الآيات التي تشير إلى رؤية **الله** في الدهر الآتي. فمثلًا يقول **الرسول يوحنا**: «الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ .» (١يو ٣: ٢).

ولكننا نجد في **العهد القديم** أمثلة لِمَن رأوا **الله** في هيئةٍ ما، فقد قال **إشعياء النبي**: « وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ، لأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ الشَّفَتَيْنِ... لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ» (إش ٦: ٥). وتُفسَّر هذه الظهورات عادةً بأنَّ **الله** يكشف ذاته في هيئة محسوسة، بينما يُخفي **جوهره الحقيقي** غير القابل للإدراك بالحواس، ولا حتى بالتصوُّر الذهني. بهذا المفهوم يمكننا أن نشرح كيف أمكن أنَّ **الله** صارَع مع **يعقوب** (تك ٣٢)، ثم «دَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» (أي وجه الله) قَائِلًا: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي» (تك ٣٢: ٣٠)، رغم أنه من غير الواضح ما إذا كان **يعقوب** صارَع مع **الله** أم مع **ملاك**. وهناك مثال آخر، هو عندما رأى **منوح وزوجته ملاك الرَّب** وقال: «نَمُوتُ مَوْتًا لأَنَّنَا قَدْ رَأَيْنَا اللهَ». (قض ١٣: ٢٢).

هل يمكننا أن ننقِّي قلوبنا ونرى الله؟

ما معنى أن يكون الإنسان **نقيّ القلب**؟ الكلمة **كاثاروس** اليونانية ΚΑΘΑΡΟΣ تحمل معنى النقاوة من النجاسة أي العفة، وهذا في الحقيقة هو عمل **الله** كما يقول المزمور: «قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اللهُ» (مز ٥٠: ١٠)، كما أنه يتوقَّف على جهادنا معه في الصلاة، فهو ينتج عن عمل مشترك، أي *synergetic*، (تعاضد) بين **الله والإنسان**. كما أنَّ حصيلته النهائية هي أن يكون القلب موحَّد الهدف نحو **الله** وإرضاءَهُ. فعندما تكون بصيرة النفس لها اتجاه واحد نحو **الله** يمكنها أن ترى الأمور كما هي عليه، أي على الحالة التي خلقها **الله** فيها، وهذه هي **حالة نقاوة القلب**. وعندما نرى الأمور كما هي نرى **الله** ذاته، ولكن **ليس** في جوهره **بل** في صورته التي ختمها في الخليقة كلها، وبصفة خاصة وبأكثر كمال، في الإنسان. فبجهادنا وبواسطة نعمة **الله** تتغيَّر رؤيتنا.

والمغبوط أوغسطينوس يرى أنَّ رؤية **الله** هي بالقلب غير المنقسم، فيقول:

﴿كم هم أغبياء، أولئك الذين يبحثون عن **الله** بتلك العيون الخارجية

طالما أنه يُرَى بالقلب! كما هو مكتوب: « تَفكَّر في الرَّب بقلبٍ صالح، وببساطة القلب ابحث عنه» (الحكمة ١: ١ من أسفار الترجمة السبعينية). فالقلب النقيّ يكون موحَّدًا (أي غير منقسم ويهدف إلى تحقيق مشيئة الله وحدها). وكما أنَّ هذا النور (المحسوس) لا يمكن أن يُرَى إلَّا بعيون نقية؛ هكذا فإنَّ الله لا يُرَى إلَّا إذا كان ما يمكن أن يُرَى به (أي القلب) نقيًّا.﴾ (٢)

تظلّ **تعاليم آبائنا ثابتة**: وهي أنَّ الله في جوهره يفوق طاقة رؤيتنا، إذ كيف يمكن لنظرنا المحدود أنْ يحوي في رؤيته غير المحدود؟ ومع ذلك فقد أمكن للإنسان أن يراه عندما **تجسَّد**، وعندما يتكلَّم **الآباء** عن رؤية الله أو معرفته، فهم يفرِّقون بين **جوهر الله** وقدرته الفعَّالة. والظهورات الإلهية غير معتادة للبشر، وليست هي المقصودة بهذه الآية: «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ» (مت ٥: ٨). وإذا كان المعيار هو نقاوة القلب، فما معنى ذلك؟ وكيف نَبْلُغ هذه النقاوة؟ وهل هذه النقاوة متاحة لجميع المسيحيين أم فقط **للنسَّاك والرهبان والمتوحِّدين؟**

مهما كانت المصاعب ومعوِّقات تنفيذ هذه الآية في هذه الأيام، فهي ليست مستحيلة، لأنَّ كلام **المسيح** حيّ ويصلح لكل زمان ومكان، فيقول **القديس غريغوريوس النيسي**:

﴿ إنَّ الله لا يطلب من الذين لم يُزوَّدوا بأجنحة أن يصيروا طيورًا، ولا هو يأمر مخلوقات أعدَّها لتعيش على الأرض أن تعيش في الماء. فناموس الله متناسب مع قدرات الذين يقبلونه، ولا يُفرَض شيء بالقوّة مما هو فوق الطبيعة. فيمكن رؤية ذاك الذي صنع كل شيء بحكمة (مز ١٠٣: ٢٤) عن طريق الاستدلال بواسطة الحكمة الظاهرة في الكون، وذلك كما يُدرك المرء صانع العمل الفني، لأنه ترك بصمته على عمله؛ هكذا فإننا عندما ننظر إلى نظام الخليقة نُكوِّن في ذهننا صورة (أو أيقونة) **ليس لجوهر الخالق**، بل لحكمة ذاك الذي خلق كل الأشياء بحكمةٍ﴾.

كما أنَّ **القديس غريغوريوس النيسي** يقول:

﴿ طالما أنَّ المعاينة صارت معتمدة على نقاوة القلب، فإنَّ عقلي يزداد تشويشًا حيث إنه ربما يستحيل تحقيق نقاوة القلب، لأنها تفوق طبيعتنا. فما الذي نربحه من معرفة كيف نُعاين الله إنْ كُنَّا نجد ذلك مستحيلًا؟ إنَّ **الرسول بولس** يقول: « ما أبعد... طرقه عن الاستقصاء» (رو ١١: ٣٣)، وهو يقصد بذلك أنَّ الطريق الذي يقود إلى معرفة **الجوهر** يتعذَّر على الفكر أن يبلغه... ومن جهة أخرى، فإنَّ الله لا يُرَى بطبيعته، ولكنه يصير **مرئيًّا** في قدراته، لأنه يمكن التأمُّل في الأشياء التي تُنسَب إليه﴾.

ويُشبِّه **القديس غريغوريوس النيسي** تنقية القلب بتنقية الحديد من الصدأ، فيقول:

﴿ إذا أُزيل الصدأ من الحديد بحجر الشحذ، فإنه بعد أن كان **أسود اللون** نجده يشعُّ ويتلألأ في أشعة الشمس؛ هكذا أيضًا مع الإنسان الداخلي الذي يُسميه **الرَّب** «**القلب**»، فعندما يُنزع منه **الوحل** المشابه للصدأ الذي أوجدته **الرطوبة الفاسدة**، فإنه يستعيد هيئته الأصلية مرةً أخرى ويُصبح صالحًا ﴾.

ويستعمل **القديس غريغوريوس النيسي** مثالًا آخر في قوله:

﴿ رغم أنَّ الناس الذين يرون الشمس في مرآة لا يشخصون في السماء، إلَّا أنَّهم يرون الشمس منعكسة في المرآة ليس بأقل مما إذا تطلَّعوا إليها في الفَلَك. وهكذا الحال أيضًا معكم، فرغم أنكم أضعف من أنْ تُدركوا **النور الإلهي**، ولكنكم إذا رجعتم إلى نعمة الصورة التي تشكَّلتم عليها منذ البدء يتحقَّق لكم كل ما تطلبونه في داخلكم، لأنَّ اللَّاهوت إنما هو طهارة وحريَّة من الأوجاع وخلو من كل **شرّ**. فإنْ كانت هذه الأمور فيكم يكون الله بالتأكيد فيكم، **وتصبحون قادرين أن تُعاينوا ما هو غير منظور** عند **غير الأنقياء**. **فالظلمة التي تسبِّبها الماديات** تكون قد أُزيلت من عيون نفوسكم، وبذلك **تُعاينون** الرؤية المشعة المباركة في سماء قلوبكم النقيَّة. ولكن ما هي هذه الرؤية؟ **إنَّها النقاوة والقداسة والبساطة** والانعكاسات الأخرى المنيرة للطبيعة الإلهية التي يكون الله فيها موضع تأمُّل ﴾.

« ها ملكوت الله داخلكم»:

الإنسان يعرف الله بمعرفته لنفسه، وبدخوله إلى أعماق نفسه يرى الله منعكسًا في نقاوة قلبه، هكذا يقول **مار إسحق السوري**:

﴿ إن كنتَ نقيًّا، فالسماء تكون بداخلك، ففي داخل نفسك سترى الملائكة ورب الملائكة.﴾ (٣)

جوهر الله يظل «ساكنًا في نور لا يُدنَى منه»، أمَّا قدراته فهي واضحة أمامنا، وهو بواسطة هذه القدرات يتصل بالإنسان بِحُبِّه المتدفِّق. ومن خلال أعماله يمكننا أن نعرفه ونراه ليس في قداسته الفائقة؛ بل في ظهوراته التي يستعلنها لنا، وذلك كما أن العمل الفني يُخبرنا بشيء عن الفنان، ولكنه لا يسمح لنا أن نعرف شيئًا عن جوهر حياته الشخصية الداخلية.

وينبغي أن توصف **نقاوة القلب** التي تؤدِّي إلى **مُعاينة الله** بأنَّها يمكن البلوغ إليها على درجات بقدر ما **تتنقَّى قلوبنا**، وذلك بدلًا من أنْ توصف بأنَّها أمرٌ قد يوجد لدى المرء أو لا يوجد. ولكننا يلزم أن نفهم أنَّ إمكانية رؤية الله في حياتنا اليومية إنما هي **عطية** نحصل عليها بالجهاد. وإذا علمنا أنَّ **القلب** هو محور ومركز كياننا، فإنه من خلال **تنقية قلوبنا** تتغيَّر رؤيتنا الداخلية.

هنا يقول **القديس غريغوريوس النيسي**:

﴿ لا أظن أنه إذا تطهَّرت عينا نفس المرء يكون موعودًا برؤية مباشرة لله، ولكن ربما توحي الآية: «طوبى للأنقياء القلب...» بما يُعبِّر عنه **الرَّب** بوضوح أكثر عندما قال: «ها ملكوت الله داخلكم» (لو ١٧: ٢١). بذلك ينبغي أن نتعلَّم أنه **إذا تنقَّى قلب إنسان** من **أدران الخطيئة** وكل **مشاعر جامحة**، يُعاين صورة (أو أيقونة) الطبيعة الإلهية في جماله

الباطني. توجد فيكم، أيُّها البشر، رغبة في التأمُّل في **الصلاح الحقيقيّ**. ولكن عندما تسمعون أنَّ **الجلال الإلهي** يعلو فوق السموات، وأن مجده لا يُعبَّر عنه، وأن جماله يفوق الوصف، وأن طبيعته لا يُدنَى منها، فلا تيأسوا من مُعاينة ما ترغبون. فيُمكنكم أن تبلغوا إليه إذ أنكم تملكون في داخلكم المعيار الذي به تدركون اللَّاهوت. لأنَّ الذي خَلَقَكُم وَهَبَ لطبيعتكم في نفس الوقت هذه الخاصية العجيبة، لأنَّ **الله** طَبَعَ عليها شبه أمجاد طبيعته، وكأنه يُشكِّل من الشيء المنحوت شمعًا. ولكن **الشَّرّ** المنسكب حول الطبيعة التي تحمل الصورة الإلهية جعلت هذا الأمر العجيب بلا نفع لك، إذ قد صار مُخْفًى خلف **أحجبة رديئة**. إذن، فإذا نظفتَ **الظلمة** التي علقت بقلبك، مثل اللزقة، بحياة صالحة؛ فإنَّ الجمال **الإلهي** يشرق فيك مَرَّةً أخرى﴾.

مجد **الله** يظهر في الخليقة كلها، ولكن يمكننا أنْ نرى الخليقة كما هي بواسطة تطهير قلوبنا فقط حيث إنَّ الخليقة تعكس صورة **الله**. وفي بعض الناس، **ولا سِيَّما القديسين**، نرى أيضًا شبه **الله**. **فالنقيّ القلب** يرى في المخلوقات لا صورة **الله** فحسب، بل يرى في الإنسان أيضًا شبه **الله** بدرجات أكثر أو أقل. **والأنقياء القلب** يُعاينون **الله** في كل مكان: في ذواتهم، في الآخرين، في كل واحد وكل شيء، إنهم يدركون أنَّ: « اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ.» (مز ١٨: ١).

وفي نفس الوقت يمكننا **بتنقية القلب** وبواسطة نعمة **الله** أنْ ننمو في شبه **الله**. **النقيّ القلب** يرى ما وراء **ضُعف** الجنس البشري **وميوله الخاطئة**، ويلمح في الآخرين الصورة الإلهية التي **تشوَّهت بالخطية**، وهذا ما يجعل الإنسان **لا يدين أحدًا ولا يحقد على أحد حيث إن أخطاء الإنسان ليست منه بل من الشيطان**. أما بخصوص مُعاينة **الله**، فنحن لا نشير إلى خبرة عميقة في رؤية النور **الإلهي** كما حدث مع **بعض القديسين**؛ ولكن ذلك يكون في الواقع عبارة عن اكتساب العين الداخلية لإمكانية رؤية **الله** من خلال بصمته وصورته في الخليقة كلها. وهذه الرؤية متدرِّجة ولا تأتي عادةً مفاجئة. **ونحن كمسيحيين نُعِدُّ قلوبنا بالتنقية**، ولكننا يجب أن ننتظر أولًا أن يفتح **الله** عيوننا أو بصيرتنا لأطول وقت يختاره هو.

في التجلِّي منح الرَّب لتلاميذه قوة رؤية مجده:

ولدينا مثال هام في **تجلِّي ربنا** الذي فسَّره **الآباء** على أنه حدث لأنَّ عيون تلاميذه قد انفتحت، وليس كأنَّ **الرَّب** تغيَّرت هيئته بصورة مؤقتة. إنَّ هيئته **إلهيَّة** منذ الأزل، ولكنه عندما **تجلَّى** على الجبل منح لبصيرة تلاميذه قوة **إلهيَّة** مكَّنتهم من رؤيته كما هو! لقد كشف لهم مجده لكي يروا ما هو مُخْفًى خلف جسده الذي اتخذه بِتَجَسُّدِهِ. إننا نرى هنا عملًا مشتركًا *synergetic*. فالتلاميذ خلعوا ميولهم الجسدية، **والرُّوح القُدُس** منحهم تغييرًا ونعمةً أمكنهم بهما أنْ يُعاينوا **الرَّب** المُمَجَّد. إنها مجهودات المؤمن مُكمَّلة بعمل **الرُّوح القُدُس**.

لا ينبغي أن نشتاق لرؤية الله بهذه الطريقة:

لقد قرأنا عما حدث للأخ «موتوفيلوف» مع **القديس سيرافيم ساروفسكي**، إذ أنَّه رأى **وجه القديس سيرافيم** مُشعًّا كالشَّمس، ثم اكتشف بعد ذلك أنه هو أيضًا قد تجلَّى (٤). ونحن نرى في مثال الأخ «موتوفيلوف» أنَّ عَيْنَيْ هذا العلماني قد انفتحتا لتلك الرؤية، ولكننا لا نعرف ما إذا كانت هذه الخبرة قد تكررت مرةً أخرى أم لا. وسبب الرغبة في رؤية **الله** بمثل هذه الطريقة لا ينبغي أن تنشأ من رغبتنا في أنْ تتحقَّق لنا خبرة روحيَّة. فإذا اشتقنا إلى ذلك نكون **معرَّضين للخداع**، إذ يجب أن يكون اشتياقنا هو إلى معرفة **الله**، وأن نصير إلى ما خلقنا هو عليه. ولتحقيق ذلك يجب أن نتوقَّع أن تكون عيوننا الداخلية مفتوحة ولو لفترة قصيرة لنرى الخليقة كما هي عليه بالفعل؛ بل وأيضًا قد نكتشف ونتحقَّق من قول **الرَّب** لنا: « ها ملكوت الله داخلكم» (لو ١٧: ٢١)، إن كُنَّا نرى من خلال عيون لم يعْمِها أي **زيف أو خطيَّة**.

وهكذا نرى أنَّ **نقاوة القلب** هي نتاج عمل مشترك بين **الله والإنسان**، فلا يمكن أن يهب **الله القلبَ النقيّ** للإنسان **وهو متكاسل في جهاده وناقض** لوصايا **الرَّب**؛ ولا يمكن لسعي الإنسان وجهاده فقط أن يُنقِّي قلبه بدون نعمة **الله**. **فالله** «يخلق القلب النقيّ» (راجع مز ٥٠: ١٠)، والإنسان عليه أن « يتبع القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرَّبّ» (راجع عب ١٢: ١٤). أما المحصلة النهائية **لنقاوة القلب** فهي أن يكون قلبًا موحَّدًا غير منقسمٍ على ذاته، هدفه هو معاينة **الله** والشركة معه، وغايته هو إرضاء **الله**.

---

(١) شرح إنجيل متى ٥: ١٨.

(٢) شرح العظة على الجبل: NPNF, 1st Series, Vol. VI, p. ٥.

(٣) The Ascetic Homilies, Homily ١٥, p. ٨٤.

(٤) عن كتاب: The Acquisition of the Holy Spirit: A Conversation of St. Seraphim of Sarov and N. A. Motovilov.

Εκφράσεις: καθαρός ουρανός αστραπές δε φοβάται : ο άνθρωπος με τιμιότητα και ειλικρίνεια δε φοβάται την κριτική των άλλων

مُصطلح:بروق السماء الصافية لا تُخيفُ أبدًا،هكذا الإنسان الذي يتمتّع بفضيلة الصدق والإخلاص لا يخاف من انتقاد الآخرين.

القديس اسحٰق السوري

ما هو رأس كُلّ أعمال النُسك التي اذا ما بلغها انسان يشعر انه قد بلغ قمّة الطريق؟ إنّه الوصول الى الصلاة الدائمة! فحينما يصل الى هذا الحدّ فقد لمس نهاية كُلّ الفضائل وصار مسكنًا للرُّوح القُدُس.

• لكن ربما يقول المستمعون **في الكنيسة**: أنَّ وسائل **المغفرة** كانت **عند القدماء** أفضل بشكل عام مما عليه الآن بالنسبة لنا نحن المسيحيين، عندما كانت المغفرة **لِلْخَطَأَةِ** يتم الحصول عليها من خلال **تقديم الذبائح بطقوس مختلفة**، أما فيما بيننا فهناك مغفرة واحدة فقط عن الخطايا تُعطى في البداية بواسطة **نعمة المعمودية**. وبعد ذلك، لا رحمة ولا أي غفران يُمنح **للخاطىء**.

بلا شَكّ، من اللائق للشخص المسيحي الذي **مات المسيح** لأجله (رو ١٤) أنْ يحيا حياة أكثر انضباطًا. بالنسبة للقدماء، كانت **تذبح الأغنام والتيوس والبقر والطيور، ويُقدَّم دقيق القمح النقيّ. من أجلك أنت**، ذُبِحَ **ابن الله** ، فكيف يمكنك أن **تُخطئ ثانية**؟ ولكن لِئَلَّا لا يبني هذا الكلام نفوسكم بالفضائل بقدر ما يلقيها **في اليأس**، لذا كما سمعتم كم الذبائح التي كانت موجودة **في الناموس القديم لمغفرة الخطايا**، لتسمعوا الآن ولتفقهوا الوسائل الكثيرة الموجودة في **الإنجيل لمغفرة الخطايا**. (ملحوظة: فَقِهَ الرَّجُلُ :عَلِمَ وكان فقيهًا).

أولًا: تلك التي بواسطتها تعمدنا «لمغفرة الخطايا» (مر١:٤).

ثانيًا: في تحمُّل **الاستشهاد**.

ثالثًا: تلك التي تُعطى من خلال الصدقة. لأنَّ **المخلص** يقول: «بَلْ أَعْطُوا مَا عِنْدَكُمْ صَدَقَةً، فَهُوَذَا كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَقِيًّا لَكُمْ.» (لو ١١: ٤١).

رابعًا: وهناك **مغفرة الخطايا** التي تُعطى لنا من خلال مغفرتنا نحن أيضًا لخطايا أخوتنا، لذا يقول **الرَّب والمخلص** ذاته: « فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاَتِكُمْ.» (مت ٦: ١٥)، وهكذا علَّمنا أن نقول في الصلاة: «وَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا» (مت ٦).

خامسًا: **مغفرة الخطايا** نحصل عليها عندما يَرُدّ أحدٌ **خاطئًا** عن ضلال طريقه، إذ أنَّ الكتاب المقدس يقول:«مَنْ رَدَّ خَاطِئًا عَنْ ضَلاَلِ طَرِيقِهِ، يُخَلِّصُ نَفْسًا مِنَ الْمَوْتِ، وَيَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا.» (يع ٥).

سادسًا: هناك أيضًا **مغفرة** تتم بواسطة غزارة **المحبة**، إذ يقول **الرَّب** ذاته: «أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ، لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا.» (لو ٧)، **والرسول** يقول: «لأَنَّ الْمَحَبَّةَ تَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا.» (١بط ٤).

سابعًا: وهناك أيضًا وسيلة **لمغفرة الخطايا** نحصل عليها من خلال أعمال التوبة والإماتة – **التي بالفعل صعبة وشاقة** – وذلك عندما يغسل الخاطئ سريره بدموعه (مز ٦)، عندما تصير دموعه خبزًا نهارًا وليلًا (مز٤٢)، عندما **لا يخجل بالاعتراف بخطاياه لكاهن الرَّب**، ويلتمس الشفاء، وفقًا لمن قال :« «أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي» وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي.» (مز٣٢). هنا يتحقَّق ما قاله **الرسول يعقوب**: «أَمَرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهَنُوهُ بِزَيْتٍ بِاسْمِ الرَّبِّ، وَصَلاَةُ الإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ، وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيَّةً تُغْفَرُ لَهُ.» (يع ٥:١٤-١٥).

أنتم إذًا، عندما تأتون **لنعمة المعمودية** تقدمون عجلًا، إذ أنكم **أعتمدتم لموت المسيح** (رو٦)، وعندما تنقادون **للاستشهاد** تقدمون تيسًا، لأنكم **تقتلون الشيطان مُنشئ الخطايا**. وعندما تقدمون الصدقات وتمنحون المحبة والعطف بدافع الشفقة تجاه المحتاجين تزودون المذبح المقدس بأغنام سمينة. وعندما «تتركون مِنْ قُلُوبِكُمْ كُلُّ وَاحِدٍ لأَخِيهِ زَلاَتِهِ» (مت١٨)، وتطرحون عنكم **تهيُّج غضبكم**، وتجمعون في داخلكم روحًا لطيفة وبسيطة، تأكَّدوا أنكم بذلك تكونون قد ذبحتم خروفكم أو قدمتم كَبْشَكُم ذبيحة.

علاوة على ذلك، إذا أمكنكم – التَّتلمُذ على القراءات الإلهية، «بالتأمل كحمامة» (إش ٣٨: ١٤)، ساهرين « تلهجون في ناموس الرَّبّ نهارًا وليلًا » (مز ١) – إرجاع الخاطئ عن خَطِيَّتِهِ، واسترداده من حياة الشَّرّ عديمة الفائدة نحو براءة الحمامة، وجعله يحاكي – من خلال التصاقه بالقديسين – رفقة الحمام، تكونون قد قدمتم **للرَّب** « زوج يمام أو فَرْخَيْ حمام» (لو٢).

وعندما تسود **المحبة** – التي هي أعظم من الرجاء والإيمان (١ كو ١٣) – في قلوبكم، ليس فقط بحيث « تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ.» (مت ١٩)، بل كما أظهر ذاك الذي قال: « لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ.» (يو١٥)، فأعلموا انَّكم قد قدمتم فطيرًا مخبوزًا بدقيق قمح نقيّ، ملتوت بزيت المحبة (لا ٢:٤) «وَلاَ بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْخُبْثِ، بَلْ بِفَطِيرِ الإِخْلاَصِ وَالْحَقِّ.» (١ كو٥).

لكن إذا في مرارة البكاء، أستنفذتم أنفسكم في الحزن والدموع والرثاء، وإذا أقمعتم جسدكم حتى جفَّ من الصوم وضبط النفس الشديد، فقلتم: «عِظَامِي مِثْلُ وَقِيدٍ قَدْ يَبِسَتْ.» (مز ١٠٢)، تكونون قد قربتم قربان تقدمة مخبوزة في تنور (لا ٢:٤).

هكذا بهذه الطريقة، تكونون قد اكتشفتم أنكم تقدمون ذبائح أكثر لياقة وأكثر كمالًا، مقارنة بذبائح لم تَعُدْ **إسرائيل** تستطيع تقديمها بحسب **الناموس**.

خدمة التسبيح والترتيل

نيكيتُس الرمسياني - (الكاتب والأسقف)

عظة قيلت نحو عام ٣٧٠ م

هل هناك فرحٌ أعظمُ من ذٰلك الناتج من إبهاج أنفسنا **بالمزامير**، وإنعاش أنفسنا **بالصلاة**، وتغذية أنفسنا بالدروس التي تُقرأ فيما بينها؟ مثل الضيوف الذين يتمتعون على المائدة بتشكيلة غنية من الاطباق، هكذا تُعيد نفوسنا وتتمتع بالوليمة الغنية التي للدروس والتراتيل.

أيها الأخوة، **لنُفرح** قلب **الله** من خلال الترتيل بٱنتباه وعقل يَقِظ **غير مُشَوَّش بالكلام البَطَّال**. لأنه هكذا يدعونا المزمور: «لأَنَّ اللهَ مَلِكُ الأَرْضِ كُلِّهَا، رَنِّمُوا قَصِيدَةً بِفَهْمٍ» (مز ٨: ٤٦ س)، أي يجب أن نرنم بفهم وتمعُّن، ليس فقط بالرُّوح (فيما يتعلَّق بصوتنا) بل أيضًا بالذهن. يجب أن نفكر بشأن ما نرتله، لِئَلَّا نفقد ثمرة جهدنا بواسطة **الكلام المشّوش والأفكار الغريبة**. يجب أن يكون صوت ونغم ترنيمنا مناسب ولائق بِتَدَيُّنِنَا. يجب **ألَّا** يكون النغم **ميلودراميًا مُثيرًا**، بل إعلان للمسيحية الحقيقية بداخلنا. يجب **ألَّا** يتضمن النغم **أي شيء مسرحي**، بل يجب **أن يحركنا نحو الحزن على خطايانا**.

طبعًا، يجب أن نرنِّم جميعنا في تآلف وٱنسجام، بدون نبرات متنافرة. يجب **ألَّا** يتباطأ أحد منكم بشكل متنافر في مقطع أو نغمة، بينما يتقدم زميله بسرعة شديدة، ويجب **ألَّا** يرتل أحدكم بطبقة خافتة جدًّا بينما يرفع آخر صوته. يجب أن يُطلب من كل واحد المساهمة بالجزء الذي يخصه في ٱتضاع من أجل صوت الجوقة ككل. يجب **ألَّا** يرتل أحد بطريقة غير لائقة سواء أعلى أو أبطأ من البقيَّة، كما ولو **بتفاخر ومباهاة فارغة**، أو من أجل كسب ٱحترام الآخرين. يجب أن تُجرَى خدمة التسبيح كلها في حضرة **الله**، **وليس من أجل إرضاء أو إسعاد البَشَر**.

فيما يتعلق بٱنسجام الأصوات، عندنا نموذج ومثال في شخصية **ثلاثة الفتية القديسين**، الذي قال عنهم **دانيال النبي**: «حِينَئِذٍ سَبَّحَ الثَّلاَثَةُ بِفَمٍ وَاحِدٍ وَمَجَّدُوا وَبَارَكُوا اللهَ فِي الأَتُّونِ قَائِلِينَ: مُبَارَكٌ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُ آبَائِنَا» (دا ٣: ٥١، ٥٢).

أرأيتم كيف أنه من أجل تعليمنا كُتِبَ أنَّ **الفتية الثلاثة** كانوا يمجدون **الله** بتواضع وبتقوى **بفم وصوت واحد**. لذا، فَلْنُرَتِّلْ كلّنا معًا كما بصوت واحد، وليضبط كل واحد منّا صوته بالطريقة نفسها. إذا كان هناك أحد لا يستطيع الترتيل بشكل متناغم مع الآخرين، من الأفضل أنْ يرتل بصوت منخفض بدلًا من **إغراق** الآخرين، بهذه الطريقة سوف يشارك في الخدمة بدون التداخل مع الغناء الجماعي.

بالطبع، ليس كل شخص له صوت مَرِن وموسيقي. يقال أنَّ **القديس كبريانوس** (الأسقف والشهيد) قد دَعَا صديقه دوناتوس الذي كان يُعْرَفُ عنه أنه مُغَنٍ جيد للأنضمام إليه في الخدمة الكنسية، قائلًا له: «لِنَقضِ اليوم كله في فرح، حتى لا تكون هناك ساعة واحدة من العيد بدون بعض النعمة السماوية. ليكن العيد مُدَوِّيًا بالأغاني والتراتيل، بما أنك لديك ذاكرة قوية وصوت موسيقي. تعال إلى هذا الواجب بشكل منتظم. أنك ستُغذي أصدقاءك المحبوبين إذا أعطيتنا شيئًا روحيًّا نستمع إليه. هناك أمر مُغْرٍ في الحلاوة الروحيَّة، وأولئك الذين يرتلون حسنًا لديهم نعمة خاصة لاجتذاب أولئك المستمعين إليهم **نحو حياة التقوى**».

وإذا كان صوتنا غير مُزعج ومتناغم مع نغمات الدُّفِّ الذي يُضْرَبَ بشكل جيد، سوف يكون مصدر بهجة لأنفسنا ومصدر تهذيب لأولئك الذين يسمعوننا. و«اللهُ مُسْكِنُ الْمُتَوَحِّدِينَ فِي بَيْتِهِ.» (مز ٦٨: ٦) سوف يجد **تمجيدنا المتّحد المتناغم** موافقًا **له**.

عندما نرتل يجب على الكُلّ أنْ يرتل، عندما نُصلِّي يجب على الكل أن يُصلِّي. وعندما يُقرأ الدرس يجب على الكل أن يبقى صامتًا، حتى يسمع الجميع. يجب ألَّا يُصَلِّي أحدٌ بصوت عال فيزعج الشخص الذي يقرأ. وإذا صادف وجئتَ بينما يُقرأ الدرس، مجِّد **الله** فقط وٱرسم علامة **الصليب** ثم أَلْقِ أُذنًا صاغية لما يُقرأ. من الواضح أن وقت الصلاة هو الذي نُصلِّي فيه جميعنا. بالطبع يمكنك الصلاة بشكل خاص حينما تريد وحسبما تشاء، لكن لا تتغيَّب عن الدرس بحجة الصلاة. يمكنك الصلاة عندما تريد، لكن لا يمكنك الحصول على الدرس وقتما تريد. لا تظن أن ما تتحصل عليه من جراء الاستماع للدرس المقدس هو شيء ضئيل. الحقيقة هي أنَّ الصلاة تتحسن إذا كان ذهننا قد تغذَّى مؤخرًا على القراءة **الإلهية**، وصار قادرًا على التجول بين الأفكار **المقدسة** التي سمعها مؤخرًا. تؤكد لنا **كلمة الرَّبّ** أنَّ **مريم** أخت **مرثا** ٱختارت النصيب الصالح عندما جلست عند قَدَمَي **الرَّبّ يسوع**، تستمع باهتمام شديد **لكلمة الله** بدون أي تفكير في أختها (لو ١٠).

فلا نتعجب إذن، إذا رأينا **الشماس** يُحذر الجميع بصوت واضح مثل المنادي لكي يفعلوا كل شيء سويًّا، سواء أن كانوا يُصلُّون أو يركعون، يرنّمون الألحان والتراتيل أو يستمعون للدروس. **الله** يحب «**المتوحدين**» بنفس واحدة ويجعلهم يسكنون في بيته (كما قلنا قبل ذلك مز ٦٨). وأولئك الذين يسكنون في هذا البيت، يعلنهم **المزمور** أناسًا مباركين لأنهم سوف يسبحون **الله** إلى أبد الآبدين. آمين.

الأب أنستاسوس كاراس، كاهن في الدير المقدس، دير القديس ديمتريوس الفائض الطِّيْبِ في مدينة تريبولي في اليونان.

في أحدى الأيام، قبل قرابة العامين تقريبًا، سافر كاهننا الموقّر من **مدينة تريبولي** متوجِّهًا الى قريته كالعادة، وكان يقود سيارته بانتباه وحذر كما هو المطلوب حسب قوانين السياقة، فكان يسير في الطريق بشكلٍ سليمٍ وقانونيّ. (وقع الحادث سنة ٢٠٠٣).

ولسوء الحظ أتت سيارة في المسار الآخر تتقدّم نحوه بسرعة جنونيّة تُقدَّر بحوالي **٢٠٠كم** في الساعة، واصطدمت بمقدمة سيارة **الكاهن**. كانت هذه الحادثة بتلك السرعة القصوى، حادثة قاتلة لا مفرَّ منها إطلاقًا.

تحطمت السيارة بشكلٍ فظيع، والزجاج الكبير للسيارة تحوَّل إلى قطعٍ صغيرة، تناثرت الى كل صوبٍ وناحية، وكثيرٌ من هذا الزجاج المتكسّر دخل في عَيْنَي الكاهن، وأيضًا لقد عانى الكاهن من كسورٍ في رجليه بلغت قرابة **الستين** كُسرًا.

والعجيبة الكبرى حصلت –رغم دخول الكثير من القطع الزجاجيّة الخشنة داخل العينين والتي استقرّت فيها – إلّا أنّ الكاهن لم يشعر بأي ألمٍ في عينيه بالمرّة. حتى ولم تتضرَّر الأوعية الحساسة بالعينين.

في حوادث الطرق المشابهة والتي تحدث باستمرار، فإنّه من الطبيعي أن تكون الإصابات جسيمة لا بل قاتلة، نتيجة دخول مقود السيارة إلى داخل البطن أو الأحشاء، لكن في هذه الحادثة المروّعة حدثت عجيبة كبرى، فإنَّ مقود السيارة انحنى بشكل غريب وخرج من مكانه بدون أن يؤذي الكاهن بتاتًا واستقرّ المقود بجانبه.

كانت هناك **أيقونة صغيرة لوالدة الإله – عذراء ماليفي –** مغلّفة بالبلاستيك، وُجِدَت بعد الحادث موضوعة فوق عجلة القيادة (مقود السيارة)، لأن **كاهننا** المصاب ، قد حصَلَ على هذه الأيقونة كبركة روحيّة من قدس الكاهن جوارجيوس التي قدمها إلى **دير القديس ديمتريوس**، حيث تسلمها كاهننا أنستاسيوس ووضعها داخل جيبه الصغير في الرداء تحت الجبّة الكهنوتيّة السوداء.

تمَّ التعرّف على هذه التفاصيل الدقيقة، بعد شهر من وقوع الحادث، إذ قام الكاهن أنستاسيوس بزيارة ورشة العمل حيث توجد السيارة المحطمة، ليرى ويشاهد بأمّ عينيه ماذا حصل للسيارة بالتمام.

فيقول: رأَيتُ **الايقونة العجائبيّة لعذراء ماليفي**، التي احتفظتُ بها كهديّة قيّمة، موضوعة فوق مقود السيارة. عندها فهمت بشكلٍ قاطع أنَّ حياتي مُنحت لي ثانية بسبب **عناية وشفاعة والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم**.

أتى الكاهن أنستاسيوس الموقّر الى **دير ماليفي العامر للرّوم الأرثوذكس** في أركاديا في اليونان، اليوم ٢٧ أيّار سنة ٢٠٠٣ ليقدّم شكره العميق **لوالدة الإله لشفاعتها وحمايتها العجائبيّة ولمنحها له الحياة**. أتى ومعه خبز التقدمة والبركة، المعروف بآسم αρτοκλασία **أرتوكلاسِيًّا**.

من أقوال القديس إسحٰق السوري في انسحاق الرُّوح

الرجل المتواضع لا يُسرّ بمرأى الجموع المحتشدة ولا بالصخب والضوضاء، ولا بالغِنَى والتزيُّن والتنعُّم، بل في كُلِّ حال يجد الفقر والعوز والقلّة والحاجة محبوبةً لديه.

إنَّ طلب **الحريَّة** هو أحد أهم **أهداف** المؤمن الحقيقيّ. **فالكتاب المقدس، وكتابات آباء الكنيسة، وكل الكتابات الروحيَّة النقيَّة**؛ هدفها تحرير **الإنسان** لكي يصل إلى «حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ» (رو ٨: ٢١). والحريَّة الداخلية (الروحيَّة) هي حجر الزاوية في أي بناء روحي، وبدونها تبدو لنا محبة **الله** ومحبة **القريب** وإتمام الوصايا **الإلهيَّة**، **ضربًا من المستحيل**.

عُبوديَّة الذَّات:

والبحث عن الحريَّة يُحرِّر الإنسان **من أنانيته وذاتيته**، إذ يجعله يتطلَّع في حبٍّ إلى مَنْ حوله، ويهتم بما هو خارج إطاره الذاتي، فيكفُّ – ولو جزئيًّا – عن السعي نحو **إرضاء الذَّات**. فالذَّات لا تعرف الحُبّ بمعناه الصحيح، فهي تسعى دائمًا **لحصد الوهم**، وإشباع كل ما هو **مائت**، وهي تسعى للتخلُّص **من مخاوفها وهمومها**. ولكنها في سعيها هذا، لا تجد سوى الآخر لكي تُحمِّله **مسئوليَّة مرضها**.

والذَّات **تعشق** نفسها، ولا تحب سواها، وهذه المحبة هي بداية **كل الآلام والأوجاع**. والذَّات تُزيِّف كل ما حولنا. فالحقيقة تشوِّهها الذَّات وتجعل منها شيئًا مُؤلمًا، وعلاقاتنا بكلّ ما حولنا تحوِّلها الذَّات إلى **مجالات للشهوة والخداع!! وكل هذه الأوجاع تظلم عقولنا، وتفسد حكمنا الصحيح على الأمور، وتمنع** عنا **موهبة التمييز**؛ إذ تُفسِّر الكل على **أساس مادي**، فيصير كلُّ ما حولنا مقبولًا أو غير مقبول، مُريحًا أو غير مريح، مُرْضيًا أو غير مُرضٍ لنا، **وذلك تبعًا لأهوائنا**.

لذلك **فالذَّات أسيرةٌ للأهواءِ**، ومُغلَّفة **بخداع** المنظور والمحسوس ليس لها إلَّا ظاهر المعرفة. وهذا ما يؤكِّده **القديس إسحٰق السوري** قائلًا: «العقل الذي يقع فريسة للمشاعر الجسدية لن يُحصِّل إلَّا معرفة عالمية، ولن يجني إلَّا الأفكار المريضة». والشهوات (الروحيَّة) أيضًا تعمل على **إفساد** إدراكنا للواقع من خلال التركيز على وضعية الأمور وشيئيَّتها فقط (**أي اعتبار الأمور والأشخاص أشياء موضوعة للمنفعة الذاتية**)، وهذا يجعل الإنسان غير مُدركٍ أنَّ حياته هي هبة من الله، الأمر الذي يُعطي للمادة **قوة إضافية** ليست من خصائصها، حتى أنها تصبح بمثابة «**أوثان**» **يتعبَّد** لها الشخص.

كذٰلك فالشهوات التي تصيب النفس تنمو وتتغذَّى **على الأفكار والخيالات**، سواء التي تفرزها النفس أو تلك التي **يقترحها الشيطان** عليها. وفي ذلك يقول **القديس دوروثيوس**: «أولًا تولد الأفكار، وبعد ذلك تظهر الشهوات».

وفي سفر التكوين، الأصحاح الثالث، نجد أنَّ أول **تجربة** كانت **هي الشهوة**، وهذه التجربة كانت تعتمد أساسًا **على الخداع**، حيث **اعتمد المجرِّب على تشويه** كلام الله. **فالشهوة** هي تحوُّل عن الطبيعة الأولى، فطبيعة الإنسان الأولى كانت هي الرغبة في الالتصاق **بالله**، والرغبة في تبادُل الحب **معه**، ولكن **الشهوة** جاءت لكي تحوِّل هذه الرغبة **المقدسة** إلى رغبة في **تملُّك خيرات هذا العالم والتكالُب على هذه الخيرات إلى حدِّ العنف والاقتتال**.

الشهوات تُزَيِّفُ علاقتنا بالآخر:

كذٰلك **فمحبة الماديَّات بكافة أنواعها** قد أسقطت الإنسان في **ضيقٍ عظيم**. وعن هذا يُحدِّثنا **القديس مكسيموس** (المعترف) قائلًا:

« لقد فضَّلنا الأشياء الماديَّة والعالميَّة على وصيَّة المحبة، ولأننا ارتبطنا بهذه الأمور فنحن نحارب إخوتنا باستمرار. لذلك يجب أن يُفضِّل المرء محبة أخيه على كل ما هو مادي، حتى على نفسه هو».

فالشهوة الماديَّة تجعلنا ننظر للآخر على أنه **منافس وخصم**، بل **وعدوّ**. لذلك فهي آلة خطيرة للتضليل والكذب: للتضليل لأنها تجعلنا **نكره** بدلًا من أن **نُحب**، **والكذب** لأنها تُقدِّم لنا الآخر (القريب) على أنه **غريب**. لذلك **فهذه الشهوة تمسخ** علاقتنا بالآخر، **وتضلِّلنا بمفهومها الخاطئ** عنه. فبسبب الشهوة، أنا أُسْقِطُ

عليه ما بداخلي **من شهوات**، فلا أرى فيه صورته بل **صورتي المُشوَّهة**. فأنا الذي أحدِّد كيف يفكر هو، وأنا الذي أعرف ما يشعر به هو من خلال **أفكاري ومشاعري أنا**، لذلك **فأنا أكرهه**، لأنه صار هو **صورتي المُشوَّهة**. ومن هنا تنشأ الصراعات، إذ الشهوة قد **أعمت** عيُوننا **وَصَمَّتْ** آذاننا، فلم نَعُد نرى أو نسمع الآخر، نحن نجهل الآخر، ونحكم عليه **ونحن في قمة تمركُزنا حول ذواتنا**.

على أنَّ **كُلّ هٰذه الشهوات** لا تُنْتِجُ إلَّا نفوسًا مضطربة **يحكمها الغضب والعنف**، وهنا يقول **القديس يوحنا كليماكوس** (السُلَّمي):

« في قلوب الودعاء يستقر الرَّب ويستريح، أما النفس المضطربة فمقر لإبليس».

كذلك يقول **القديس باسيليوس الكبير**: « إن الغضب هو جنون وقتي».

وفي حالة مثل هذه، يكون الإنسان برمته **في خدمة الشرّير**. لذٰلك يقول **القديس ثيوفان الناسك**: «يأتي العدو ويعطي للخطأ صورة الحقّ، ويضخِّم لنا هذا الحق المُزيَّف، حتى نعتقد بأن هذا العالم سينهار إذا لم نُراعِ هذا الحقّ (المزعوم)».

إذن، فالغضب هو ظلمة للعقل، وهو الدافع الحقيقيّ للكراهيَّة، هو نتاج للخوف ومصدر كل هوى رديء. وفي هذا كله يكمن موت حُريَّةِ الإنسان.

ويحدثنا **القديس ثيوفان الناسك** عن أثر **ظلمة العقل** على سلوك الإنسان قائلًا: « لنعرف جيِّدًا كيف يسعى الشيطان لتجربتنا. إنه أولًا يُدخِل الأفكار إلى القلب، ثم ينتظر حتى يبدأ القلب في التعامُل معها، وعلى هذا يبدأ في إحكام تجربته. ولنفترض – على سبيل المثال – أننا نفكر في شخصٍ ما قد أساء إلينا، فإنْ نحن رحبنا بالتفكير في هذا الموضوع وامتلأنا بالحقد تجاه الشخص المسيئ، فإنَّ ذلك يعني أن العدوّ قد اخترق النفس بسيفه وجَرَحَها. وهو في هذه الحالة يقترب ويثير فيها عاصفة من الغضب والرغبة في الانتقام. ولكن لو كان القلب في حالة استعداد دائم للصفح عن الإساءة، فإن الإنسان سوف يحفظ نفسه من سيف العدوّ، ويحظى بالسلام تجاه أي شخصٍ. لذلك فليس من المهم أن يقترب المجرِّب من النفس أم لا، وإنما المهم هو عدم التعامل مع الفكر الرديء لأنَّ هذا هو طريقنا للتغلُّب على التجارب».

إذنْ، **فالعدوّ بكل قوته** لا يستطيع إرغامنا على شيء، لأن التجارب التي نسقط فيها تلازمها حتمًا **حالة من الرضا والقبول الداخلي**. لذلك فعلى الإنسان أن يجاهد داخليًّا لكي لا يسقط **في التجارب**، وهو لن يستطيع ذلك **إلَّا إذا اعترف داخليًّا أنه مُعرَّض للسقوط في أي وقت**، أما إذا اتكل على قوته الذاتية فسيصير **فريسة للمجرِّب**.

لذٰلك فالحرية قائمة في شعور الإنسان بضعفه الشخصي، وفي معرفته بنقاط ضعفه، وفي إيمانه بأن التغيُّر (الروحيّ) ليس أمرًا في أيدينا، ولكنه يأتي من تسليم ذواتنا التي **شوَّهتها الخطيئة** في يد الله القادر على التغيير. ولذلك يقول **القديس بولس الرسول**: «لأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ.» (٢كو ١٢: ١٠).

التوبة والكمال:

إنَّ عدم الدخول في التجارب هو هدف لا يمكن إدراكه بالإمكانات البشرية وحدها، بل هو هبة ودعوة من الله . لذلك نجد أنَّ **المسيح** يقول: «فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ.» (مت ٥: ٤٨)، وهذه الدعوة تجعلنا نراجع أنفسنا باستمرار كي نصل إلى الكمال. إلَّا أنَّ هذا الكمال لا يمكن الوصول إليه بعيدًا عن نعمة الله ، **فالله** هو أصل الكمال، وكل كمال لابُدَّ وأن يكون نابعًا من **كماله**، وإلَّا لأصبح **كمالًا شكليًّا ناقصًا**.

وتأتي **التوبة** لتمهِّد طريق الكمال، إذ أنها تمحي **كل أثر سلبي للخطيئة** على حياتنا، فهي النافذة التي نَنطلق منها نحو إقامة **علاقة قوية مع الله** من خلال وعينا الكامل **بضعفنا وعجزنا**. فقوَّة **التوبة** هي التي دفعت **الابن الضال** بكل إخفاقاته وضعفاته وماضيه السيئ، دفعته إلى أبيه، ولكن من خلال علاقة صحيحة، فالابن قد نهض، وتغيَّر ذهنه، **وامتلأ بروح الاتضاع**؛ **والأب** جاء وقابله فاتحًا ذراعيه.

والكمال أيضًا هو من اختصاص الله، أمَّا الإنسان فليس عليه إلَّا أن يقتني رغبة حقيقيَّة، وأن يسعى للوصول إلى الكمال. الله إذنْ، هو صاحب القدرة على الوصول بالإنسان إلى الكمال: «غَيْرُ الْمُسْتَطَاعِ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ» (لو ١٨:٢٧). **فالله** هو الذي **يُقدِّس والإنسان** هو الذي يَتَقدَّس.

لذٰلك يمكن النظر إلى الكمال على أنه نزول إلى الاتضاع، **فالخطيئة** تأتي **من إعْلَاء الإنسان لذاته**، والشفاء منها يأتي بالاتضاع. لذلك فطريق الكمال يلزمه قبول **للضعف والعجز والإخفاق**، ثم التوجُّه بهذا كلّه إلى الله طَلَبًا للرحمة. أمَّا الإنسان المتمركز حول ذاته الذي ينظر إلى عيوبه ونقائصه ويدين نفسه عليها دون التوجُّه بها نحو الله، فلن يعرف ولن يلمس أبدًا محبة الله ورحمته!! لماذا؟ لأنه يريد أن يُخلِّص نفسه بعيدًا عن دم **المسيح**. وباختصار، فإن مَن يجد في نفسه القدرة على ترميم كسور نفسه، **فلن يحظى بالسَّلام الحقيقيّ**.

فيا لها من قوة مُحرِّرة تلك التي نحصل عليها من إدراكنا لضعف إمكانياتنا وفقرنا وعجزنا!!

إنَّ الوصول إلى **الحرية** متاحٌ لأي إنسان، حتى لو كان سائرًا في **طريق اليأس**، وذلك شريطة توافر الإيمان، والاستعداد للتخلِّي **عن الذَّات**. وهذان الشرطان تؤهِّلهما لنا التوبة. **والتوبة** – كما قلنا – **هي تغيُّر في الذهن وامتلاء بروح الاتضاع، وهي أيضًا اتساع أُفق، وسعة صدر**؛ فهي تمهِّد لحالة روحيَّة جديدة قوامها **الحريَّة الحقيقيَّة**. والتوبة كما **يقول الآباء** هي «معمودية ثانية»، إذ أن الإنسان يَعْبُر فيها من **إرادته الذاتيَّة** إلى إرادة الله، من **عملي أنا** إلى عمله **هو** فيَّ. وفي ذلك انفتاح على العالم، وقبول للواقع، ورؤية مجد الله فيه.

وآباء القرن الرابع سجَّلوا لنا الكثير عن التوبة، إذ أنهم رأوا فيها حريَّة حقيقيَّة تدفعهم إلى حياة أفضل. **فالله** يدعو كل واحد منا إلى الحياة، فهو قد أتى **وأماتَ الموت** لكي يحرِّر لنا الحياة، أو كما جاء في سفر حزقيال: «لأَنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ مَنْ يَمُوتُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَارْجِعُوا وَاحْيَوْا.» (حز ١٨: ٣٢).

وحياة **الآباء** في **براري فلسطين ومصر** في القرن الرابع الميلادي لم يكن هدفها الوصول إلى أنماط معينة من **الحياة النسكية**، بل بالحريّ اقتناء الحريَّة الحقيقيَّة. **فالنُّسك** عندهم لم يكن مجرد إماتات تخفف من سطوة الجسد بقدر ما كان قبول قوَّة جديدة تُمكِّن الجسد من أن يشترك في عمل النعمة، مثله مثل **الرُّوح**. كذلك كان **النُّسك** يهدف إلى إزالة كل ما تراكم على القلب من **مُخَلَّفات الإنسان العتيق**، بما يُمَكِّن الإنسان من التأمُّل العميق في ماهيَّة النفس **الضعيفة**.

وقد **ركَّز هؤلاء الآباء** أيضًا على الصلاة والسهر (اليقظة الروحيَّة). ففي الصلاة الحقيقيَّة تنكشف لنا **أخطاؤنا وضعفاتنا**، والسهر يجعلنا متيقظين ومحتاطين من هذه الأخطاء لئلا نقع فيها مرة أخرى. وهو بذلك يقود الإنسان إلى الحريَّة الحقيقيَّة من خلال عدم الخنوع تحت نير العجز والضعف، كما يؤهِّله لأن يصبح هيكلًا تنعكس منه الصورة الجميلة التي خُلِقنا عليها، ومرآةً للحقائق الأبديَّة فائقة الوصف.

الخير والشر، وإدراك الحقيقة:

الشخص الذي **يخضع للشهوات** لا يستطيع أبدًا أن يتأمل مجد الله المخفي في الكائنات والأشياء التي من حوله. **فالشهوات** لا تكفُّ عن **ابتداع صُوَر كاذبة** داخل النفس، من شأنها تشويه كل ما هو حقّ في هذا العالم. والذي يخضع لعبودية الأشياء المحسوسة آخذًا منها أداة لقياس الخير والشر، سوف ينغلق ذهنه وتظلمّ بصيرته، ويفقد أعز ما لديه وهو نعمة التمييز.

فالشهوات تحجب عنا روح التمييز وتقودنا إلى **خلط مميت** بين الخير والشر. فكل ما يتعلق برغباتنا ولذَّاتنا الشخصيَّة، كل ما هو نافع ومفيد لذواتنا يصبح خيرًا. أمَّا كُلّ ما يمثّل بالنسبة لنا خسارة أو حتى عدم قبول فهو **الشَّر بعينه**. ومن شأن **هذا القياس الخاطئ** أن يحجب عنا مشيئة الله ، إذ أنَّ الإنسان الذي يفكِّر هكذا يكون مُسَيَّرًا **بشهواته**. لذلك نجده دائمًا في تنقُّل **ما بين الضيق، والرغبة، والكراهية، والانتقام، والكبرياء**، وهذه كلها هي مصدر أي صراع. وذلك على عكس القلب الذي تنقَّى من الأوجاع فإنه يبحث دائمًا عن يد الله في كل حَدَث. لذلك فلا سلامَ **للقلوب الخاضعة للأوجاع**.

الإنسان الجديد هو إنسان الحريَّة:

إنَّ دعوة الله لنا «يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُوا مِنْ فَوْقُ.» (يو ٣: ٧)، هي دعوة **للحريَّة**، حيث إنَّ الميلاد الجديد هو طرح **لنير هذا العالم** وقبول لنير **المسيح** الهيِّن. والإنسان الجديد يرى في كل شيء مجالًا لممارسة الحريَّة، فهو الإنسان الذي يحبُّ، بغضِّ النظر عن قبول الآخرين لفعل محبته، وهو الذي يخدم دون انتظار لا لمكافأة ولا لأي مقابل. والإنسان الجديد الذي على شِبه **خالقه** قادر على العطاء المجاني الذي يصل إلى درجة **التضحية** بالذَّات، بل والموت. وعلامة الانسان الجديد هي **الحُبّ**، فهو لا يحكم على أحد، ولا يقطع أحدًا؛ إذ أن نظرته فيها انفتاح على سرِّ الآخر. وهو مهيَّأ لنوال نعمة الله من خلال الآخر أيًّا كان. كما أن في نظرته انفتاحًا على غير المرئي من خلال المرئيات، وفيها إدراك **للمسيح** الذي في الآخر إدراكٌ يوازي إدراكه **للمسيح** الذي بداخله. وكل هذه المعرفة تُحرِّر الإنسان شيئًا فشيئًا.

† «تعرفون الحق، والحق يُحرِّركم» (يو ٨: ٣٢).

---

(١) ترجمة بتصرُّف عن مقال نشره الأب فيليب داوتس Philippe Dautais في مجلة: "Le Chemin" no. ٦٠ - تحت عنوان: "L'ardente recherche de la liberté". والأب فيليب هو كاهن أرثوذكسي يتبع كنيسة رومانيا الأرثوذكسية.

تعاليم الكنيسة الروميّة الأرثوذكسيّة هي معبر الخلاص بالمسيح

أول شيء، سوف أهتم **بتعليم الكنيسة** الذي من خلاله يُزرع الخلاص فينا، كأساس وأعمدة. سوف أجعل معنى هذا التعليم دليلًا، لأنّه هو خط البداية وخط النهايه للسباق؛ هو اللجام للحصان. أنا ارى أنّها **خطيئة عظيمة** أن تتراجع الكنيسة إلى الأركان الروحيّة الضعيفة الحقيرة بعد أن كانت تتقدّم في **عظمة وتوقير القدّيسين**. وأن تخاف عندما لا يوجد شيء تخاف منه. أنّها كارثة لو اِفترضنا أن الكنيسة **لا تعرف** الله كما ينبغي أن تعرفه؛ أنّها وقعت في الوثنيّة، لأنّها لو رفضت كلمة واحدة من كمالها فهذا سوف يكون مؤامرةً ضد وجهتها الخلاصية بالكامل، وسوف **يحطم** هذا جمال الكل. الشيء الصغير ليس بصغير عندما يقود إلى شيء كبير، وأنه ليس شيئًا صغيرًا **أن نترك عادات الكنيسة القديمة التي احتفظ بها هؤلاء الذين دُعوا قبلنا، الذي يجب علينا أن نلاحظ تصرّفاتهم، ونقلّد إيمانهم.**

القديس يوحنا الدمشقي

.... هذا هو السرد التاريخي (المستوى الأوَّل للمعنى) **لمعجزة إقامة أبنة يايرس ونازفة الدم** (لو ٨، مت ٩).

يجدر بنا أن نتأمل الحدث بانتباه أكبر وبشكل أدَقّ. لنترك الناس الأكثر بساطة يُعجبون بأعمال الله العظيمة في حَدِّ ذاتها، لأن هذه الأعمال تُهذِّب النفس، حتى ولو تم أخذها بصورة حرفيَّة.

لكننا قادرون أن نمضي قُدمًا نحو الكشف (المعنى الباطني)، عالمين أنَّ «فَهذِهِ الأُمُورُ جَمِيعُهَا أَصَابَتْهُمْ مِثَالًا، وَكُتِبَتْ لإِنْذَارِنَا نَحْنُ» (١ كو ١٠: ١١). (**ملحوظة: يستشهد العلامة أوريجانُس بالاصحاح العاشر من رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: كيف أخطأ اليهود، وزنى قومٌ منهم، وتذمَّر الشعب في صحراء سيناء مع موسى النبي، فعاقبهم الله عقابًا صارمًا. فهذه كانت مثالًا وإنذارًا لنا كما يكتب ويفسّر العلامة أوريجانُس**).

دعونا نُصلِّي إلى الله ونسأل «**كلمته**» لكي يأتي ويشرح لنا هذه الأمور:

لماذا كان **يسوع** ذاهبًا في أول الأمر إلى **ابنة رئيس المجمع** وليس **للمرأة نازفة الدم** التي قابلته على قارعة الطريق؟ ولماذا بالرغم من أنه كان ينوي التوجه أوَّلًا إلى **ابنة رئيس المجمع**، إلَّا أنه تمَّم شفاء هذه المرأة أوَّلًا؟

ابن الله ذهب أوَّلًا إلى **ابنة رئيس المجمع اليهودي – أي ذهب أولًا لليهود** – ووجدها مريضة تُحْتَضَرُ، لأن **تعديات إسرائيل جعلتها تموت**.

أمَّا **المرأة نازفة الدم** التي كانت في الطريق، مملوءة بالنجاسة، التي كانت دماؤها تسيل «فِي غَيْرِ وَقْتِ طَمْثِهَا» (لا ١٥)، بل في كل وقت، التي كانت «مريضة بخطايا كثيرة بلون القرمز» (أش ١)، فهي تُمثِّل **كنيسة الأمم**. وهي قد **آمنت بابن الله** قبل المرأة الأخرى (**اليهود**). مشى **يسوع** قبالتها، وهي تبعته، راغبة في أن تلمس ولو «هُدْبَ ثَوْبِهِ فَقَطْ.» (لو ٨).

إنَّ **لوقا** أضاف ما لم يذكره **متى**، أضاف أنَّ **ابنة رئيس المجمع** كان لها من العمر اثنتي عشر سنة. **والمرأة نازفة الدم** مكثت مريضة أيضًا لمدة اثنتي عَشْرَةَ سنة (لو ٨، مت ٩). هكذا نرى أن سيل دماء المرأة بدأ عند ولادة الطفلة. هذا معناه أنه طالما المجمع (**اليهود**) يعيش، فالمرأة (**الأمم**) تكون في **حالة عصيان**. وبداية خلاص المرأة (**الأمم**) يتزامن مع وقت موت الطفلة (**اليهود**). لأنَّ **الفتاة تموت** في سن الثانية عَشْرَةَ، **والمرأة تؤمن ويتم شفاؤها** بعد اثنتي عَشْرَةَ سنة من الألم والمعاناة.

«وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تُشْفَى مِنْ أَحَدٍ» (لو ٨)، ولا واحد من الأطباء. لأن كثيرين من الأطباء وعدوا بشفاء الأمم. إذا رأيتم الفلاسفة ينادون بحقٍّ ما، فَهُم أطباء يحاولون تقديم الشفاء. لكن المرأة « أَنْفَقَتْ كُلَّ مَعِيشَتِهَا لِلأَطِبَّاءِ، وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تُشْفَى مِنْ أَحَدٍ». لكنها عندما لمست هُدْبَ ثوب **يسوع** – الطبيب الوحيد للنفوس والأجساد – تم شفاؤها مباشرة، من خلال **إيمانها الناريّ**.

عندما نتأمل إيماننا في **المسيح يسوع**، وندرك مقدار عظمة شخص **ابن الله**، ومن هو هذا الذي نلمسه، نتحقق أنَّنا لم نلمس بعد إلَّا جزءًا قليلًا من هُدْبِ ثوبه. لكن في نفس الوقت هذا الهُدب يشفينا ويجعلنا نسمع من **يسوع**: « ثِقِي يَا ابْنَةُ، إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ» (لو ٨).

وبعد أن يتمّ شفاؤنا، سوف تقوم **ابنة رئيس المجمع** أيضًا. لأنَّ الكتاب يقول: «أَنَّ الْقَسَاوَةَ قَدْ حَصَلَتْ جُزْئِيًّا لإِسْرَائِيلَ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ مِلْؤُ الأُمَمِ، وَهكَذَا سَيَخْلُصُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ.» (رو ١١).

« هناك تجربة نتسبَّب فيها نحن، وهناك تجربة يسمح بها الله. الأولى هي مُضرَّة للنفس وعنها قال يعقوب الرسول: «لاَ يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ: «إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَلِ اللهِ»، لأَنَّ اللهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ، وَهُوَ لاَ يُجَرِّبُ أَحَدًا.»" (يع ١ :

١٣. أما التجربة التي يسمح بها الله فهي مفيدة للنفس وتحدث للناس لكي تمتحنهم. «وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةٌ، وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءٌ، وَالرَّجَاءُ لاَ يُخْزِي ».

القديس برصنوفيوس (القرن ٦)

العظة الثالثة والعشرون، الخامسة في الأسرار
لأبينا القديس كيرلُّس رئيس أساقفة أورشليم
في القداس الإلهي : الصلاة الربَّانية

العظة الثالثة والعشرون

الخامسة في الأسرار – في القداس الإلهي (تتمة)

١١) – الصلاة الربَّانيّة وشرحها:

وبعد ذلك ، نقول هذه الصلاة التي سلّمها **المخلّص** لأخصائه التلاميذ، وبضمير نقيّ تُعطي الله اسم **الآب** وتقول: « ابانا الذي في السموات ...» (متى ٦:٩-١٣). يا لَعَظمة محبَّة الله للبَشَر! فإلى الذين ابتعدوا عنه وسقطوا في **هاوية الرذائل** منحهم غفران الخطايا ونصيبًا وافرًا من نِعَمِهِ، بحيثُ انهم يدعونه أبا «ابانا الذي في السماوات»؛ السماوات هي أيضًا هؤلاء الذين يحملون صورة العالم السماوي، والذي يسكن الله فيهم ويُقيم.

١٢) – ليتقدَّس اسمك:

«ليتقدَّس اسمك». إنَّ اسم الله مقدَّس بطبيعته، إذ قُلنا ذلك أو لم نَقُل. ولكن بما أنَّ اسم الله يمتهنه أحيانًا الخطأةُ، كما هو مكتوب: «لأَنَّ اسْمَ اللهِ يُجَدَّفُ عَلَيْهِ بِسَبَبِكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ» (اشعياء ٥٢:٥ ، رومه ٢:٢٤)، فنحنُ نطلب أن يتقدَّس اسم الله فينا، لا بمعنى أن يُصبح مُقدَّسًا – كأنه لم يَكُن مُقدَّسًا من قَبل – بل أن يُصبح مُقدَّسًا فينا نحن الذين يسعون الى تقديس نفوسهم وإلى القيام بأعمال تليق بقداستهم.

١٣) – ليأتِ ملكوتك:

«ليأتِ ملكوتك». يليق بالنفس الطاهرة أن تقول بكل ثقة: «ليأتِ ملكوتك». لأنَّ الذي يسمع **بولس** يقول: «إِذًا لاَ تَمْلِكَنَّ الْخَطِيَّةُ فِي جَسَدِكُمُ الْمَائِتِ لِكَيْ تُطِيعُوهَا فِي شَهَوَاتِهِ» (رومه ٦:١٢)، ويعمل على تطهير نفسه بالفعل والفكر والقول، يستطيع أن يقول: «ليأتِ ملكوتك».

١٤) – لتكُن مشيئتك:

«لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض». ملائكة الله الطوباويون الإلهيّون يصنعون مشيئة الله، كما يرنّم ذلك **داود**: «بَارِكُوا الرَّبَّ يَا مَلاَئِكَتَهُ الْمُقْتَدِرِينَ قُوَّةً، الْفَاعِلِينَ أَمْرَهُ» (مز١٠٢:٢٠) ؛ عندما تُصَلِّي بقوّة تريد أن تقول هذا: كما أنَّ مشيئتك تتمّ في ملائكتك، فلتتمّ كذلك فينا على الأرض، يا سيِّد.

١٥) – خبزنا الجوهري أعطنا اليوم:

«خبزنا الجوهري أعطنا اليوم». الخبز العادي ليس بجوهريّ، الخبز الجوهريّ هو هذا الخبز المقدَّس الذي يوزَّع لغذاء النفس. هذا الخبز لا ينزل الى الجوف ولا يُدفَع الى المخرج (متى ١٥:١٧)، لكنه يتوزَّع في كُلّ بُنيَتِكَ لفائدة النفس والجسد. أمَّا كلمة «اليوم» فتعني في الواقع كُلّ يوم، كما يقول ذلك **بولس الرسول** أيضًا: « مَا دَامَ الْوَقْتُ يُدْعَى الْيَوْمَ» (عبر ٣:١٣).

١٦) – إغفِر خطايانا:

«واعفِنَا مما علينا كما أعفينا مما لنا عليه». الحقّ أنَّ لدينا **خطايا كثيرة**، لأنَّنا **نسقط بالقول والفكر ونرتكب أعمالًا كثيرة نستحقّ عليها العقاب**. «إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا.»، كما يقول **يوحنا اللاهوتي** (١يو ١:٨). ولذلك نحنُ نساوم الله ونطلب إليه أن يغفر خطايانا، كما نحنُ من جهتنا نترك لقريبنا ما لنا عليه. فلنفكِّر بما نتلقَّى مقابل ما نُعطي، ولا ننتظر ولا نتمهّل في أن نغفر بعضنا لبعض. إنَّ الإساءات إلينا صغيرة طفيفة، ومن السهل علينا أن نمحوها، أمَّا إساءاتنا الى الله فكبيرة، ولا سبيل لنا غير محبّته للبشَر؛ فاحذر إذن من أن تمنع الله، بسبب ما لَحِقَ بِكَ من إساءات صغيرة طفيفة، أن يغفر لكَ ما ارتكبته نحوه **من ذنوب كبيرة**.

١٧) – ولا تُدخلنا في تجربة:

«ولا تُدخلنا في تجربة» يا ربّ. هل يُعلّمنا الرَّب أن نطلب ألَّا نُجرَّب أبدًا؟ كيف إذن يقول في موضع آخر: «الَّذِي لَمْ يَخْتَبِرْ يَعْلَمُ قَلِيلًا» (سيراخ ٣٤:١٠، رومه ٥:٣-٤). وأيضًا «أُنظُروا يا إخوَتي إلى ما يُصيبُكم مِن مُختَلِفِ المِحَن نَظَركم إلى دَواعي الفَرَحِ الخالِص.» (يعقوب ١:٢). ولكن ربما هذه الكلمات «لا تُدخلنا في تجربة» تعني: لا تدعِ التجربة تغمرنا وتجرفنا، **باعتبار التجربة سيلًا عارمًا يصعُب اجتيازه**. فالذين لا تغمرهم التجربة يجتازون السيل كالسبّاحين الماهرين الذين لا يتركون التيار يجرفهم؛ أمَّا الباقون الذين لا يجيدون السباحة فيغرقون. **يهوذا** مثلًا، حالما نزل في تيار البُخل، لم يتمكَّن من السباحة، فَغَرِقَ جسديًّا وروحيًّا واختنق. ودخل **بطرس** في تجربة **نُكران سيّده**. ولكنه لم يغرَق، بل سبح بشجاعة وتخلَّصَ من التجربة. واسمع في موضع آخر جوقة القديسين الذين لم يُقهروا، وهم يؤدّون الشُكر لكونهم أُنقِذوا من التجربة: «لقد بلوتنا يا الله، ومحَّصتنا تمحيص الفضة. أدخلتنا المصيدة، جعلتَ ضغطًا على متوننا. أركبتَ أُناسًا على رأسنا. دخلنا النار والماء، ثمَّ اخرجتنا الى ريف» (مز ٦٥:١٠-١٢). أُنظر كيف أنَّهم يبتهجون لاجتيازهم التجربة سالمين! «لقد أخرجتنا الى مكان الراحة»، معناه أنَّهم نجوا من التجربة.

الفصل الثالث عشر – تتمة

– «ماذا تقول يا سيِّدي ؟».

– « ليسَ هناك من عمل حقير، لقد قلتُ ذلك من قَبْلِ أمام الجميع. على العكس فإنَّ العمل الكريه يرفع الانسان أمام الله. اذهبا وتَصَالَحَا. وأنتَ الأصغر الذي تضرب جبينك، إذهب واطلب أوَّلًا المغفرة من الأكبر منك. واذهبَا من هنا بسرعة لأنَّ المطر يوشك على الهطول».

فاستدارا واختفيا بصمت وراء الأشجار، خافِضَي الرأس وَخَجِلَيْنِ.

وخلال سنة ونصف تقريبًا، وطوال الفترة التي عمل خلالها ميشال في المدرسة، كانت المراحيض تلمع من النظافة. وكان جميع من في المدرسة يتساءلون عن السبب الذي غيَّرَ هذين الكسولين، فبدَّلا عاداتهما وأصبحا مثاليَّيْنِ.

الفصل الرابع عشر

«وألقوا عَليهِ هَمَّكُمْ كُلَّهُ فإنَّهُ يَعْتَني بِكُم. أصْحوا واسْهَروا، فإنّ إبليسَ خَصْمَكُم كالأسَدِ الزَّائِرِ يَجولُ مُلتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُه» (١ بط ٥:٧-٨).

تنشُر الصُحف والمجلات جميع أخطاء البَشر وحماقاتهم. وقليلًا ما تنشر ما يخدم إرادة الله وينفع الإنسان.

فقد بدأ العديد من الكتُّاب خارج اليونان بتبنِّي الرواية المزعومة «نفسية» بكثير من الادِّعاء. وكان هؤلاء الكتَّاب بِعَمَلِهم هذا يُذَوِّبون **سُمَّ الفجور** اللذيذ الطعم عبر تحليل العلاقات بين الرجال والنساء بطريقةٍ معقّدة ومُفسِدة للأخلاق. وهذا ما كان يؤدِّي إلى وقوع الكتَّاب والقُرَّاء معًا في دوار الدعارة.

أمَّا **نكتاريوس** فقد خفَّضَ ساعات نومه بدرجة كبيرة من أجل العمل على تأليف سلسلة من الكُتب المفيدة للحياة الروحيَّة. وكان قد بدأ بكتابتها منذ بعض الوقت. ومنها كتاب: الخريستولوجيا الذي يقع في ثلاثة أجزاء، ويتكلَّم الجزء الأوّل عن ألوهيَّة **المسيح** وعمله الخلاصي. وفي الجزء الثاني عن ظهور الله في **العالم الخاطىء والبائس**، ويتكلَّم الجزء الثالث عن تحقيق **نبوءات العهد القديم بصورة كاملة** في شخص **يسوع** المخلِّص. وقد أنهَى هذا المؤلَّف وأعطى المخطوطة للناشر.

بدأ **نكتاريوس** بتحضير طبعة ثانية لكتابه: «حول خلود الرُّوح»، وبإتمام عمل آخر بعنوان: «حول التربية الحسنة والسيِّئة» . وأيضًا كتاب «الرعيَّة»، وخصوصًا « نشيد الثالوث القُدُّوس».

وكان **نكتاريوس** يجهل كُلّ شيء عن وضعه المالي. ولم يكُن يحمل في محفظته غير القليل من المال، وما كان ضروريًّا جدًّا لتنقُّلاته، كان يأكل القليل ويعيش في الفقر الكامل، ويصرف أقل ما يمكن من أجل ملابسه. وكُلّ ما كان يكسبه كان يعود إلى مساعدة كوستي ساكوبولوس: أي بدل أتعابه، وأُجرة بعض الساعات الإضافيَّة، وبعض المدخول غير المتوقَّع من الخِدَم الليتورجيَّة، ومن مساعدات يقدمها له أصدقاؤه ومعارفه من شارع أمبيلوكيبي.

وكان كوستي يشتكي على الدوام من هاتين المشكلتيْن اللتيْن لا يَجد لهما حلًّا: الصدقات ومصاريف النشر، ويُطلق عليهما لقب: «الجُرحَان المفتوحَان». فكُلّما تسلَّما المال، كانا يدفعانه، ويبقيان مُثقلين بالديون على الدوام. وقد بَقِيَ هذان الجُرحان غير ملتئميْن حتى موت كلٍّ منهما، وفيما بعد أيضًا ...

إلَّا أنَّ **نكتاريوس** كان ينزعج من هذه المقارنة «بالجُرحَيْن المفتوحَيْن»، فيقول:

– « لا تتكلَّم بهذا الشكل يا كوستي. كيف تُسَمِّي هذه الصفحات الجميلة جُرحًا وهي التي تنقل كلمات الرَّبّ، وتحمل كنوز الكنيسة؟».

– «أنا موافق تمامًا على ما تقول ... لكن فَكِّر قليلًا بكل ما نلقاه من الإدارة، ومن أعضاء المجلس ونزواتهم ... وان خَطَرَ لهم يومًا أن يطردونا؟ وان رموا بنا في الشارع؟ ماذا تريد أن نفعل بكل هذه الديون المتراكمة علينا؟ ستكون هذه كارثة».

– « لا تَكُن قليل الإيمان، إذ لا تسقط شعرة من رؤوسنا إلَّا بمعرفة أبينا الذي في السموات. لا تَخَف ... إطمئنَّ بالًا. وفي جميع الأحوال ليس ناشرنا ليونيس بالدائن القاسي ... انّه يعرف مصلحته، ولذلك فهو يتحلَّى بالصبر».

ويجيب كوستي:

– « حسنًا أنا موافق على هذا أيضًا. ولكن الصدقات؟ هذه الإعانات التي تقدّمها بتسرُّع، ودون أن تتأكَّد من حالة الذين يأتون ليشتكوا إلينا.

– « لا تَعُد إلى هذا الموضوع يا كوستي. أولًا لأننا لا نملك شيئًا على الإطلاق، وثانيًا لأنَّ الذي يُعطي ويُساعد قريبه يشعر بفرح روحي لا يوصف».

– «إذنْ كان على حقّ هذا الكاهن الذي رسمته مؤخرًا، الأب تريفن.»

(التتمة في العدد القادم)

طروباريّة الشهيد جوارجيوس – على اللحن الرابع:

بما أنَّكَ للمأسورين مُحرِّرٌ ومُعتِقٌ، للفقراءِ والمساكين عاضدٌ وناصرٌ، للمرضَى طبيبٌ وشافٍ، عن الملوك محامٍ ومحاربٌ، أيُّها العظيم في الشهداء جوارجيوس اللابس الظفر تشفّع إلى المسيح الإله في خلاص نفوسنا

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
12-726-111122